

# يوم السقيفة وبيعة أبي بكر الصديق

دراسة تحليلية مقارنة لروايات يوم السقيفة

أ.د. محمد بن فارس الجميل

قسم التاريخ - كلية الآداب

جامعة الملك سعود

الرياض 1427هـ

المقدمة:

إن الغرض من هذه الدراسة الموجزة هو إعادة قراءة مرويات يوم السقيفة، ومحاولة المقارنة بينها للتعرف قدر الإمكان على ما حدث في ذلك اليوم بين جموع المسلمين في المدينة وعلى وجه الخصوص بين فريقي المهاجرين والأنصار . إذ أن القارئ في المصادر التاريخية والأدبية يجد كمّاً من الروايات المتضاربة في وصفها لأحداث ذلك اليوم ؛ فمنها ما يُغرق في تبسيط الأحداث إذ يجعل اختيار أبي بكر الصديق حاكماً للمسلمين مجرد حديث عابر ضمن أحداث ذلك اليوم الذي لحق فيه الرسول ﷺ بالفريق الأعلى مُغفلاً كل ما قيل من الجدل الساخن الذي دار بين المهاجرين والأنصار، بل إنه يصور الأنصار بمظهر الفريق ال مستسلم لمشئنة المهاجرين والمُسلم بأحقيتهم في ولاية الأمر بعد رسول الله ﷺ . إذ أنهم ما أن رأوا وفد المهاجرين داخلاً عليهم السقيفة وعرفوا من أبي بكر رغبته في ولاية المهاجرين لقيادة الأمة حتى بادروا بالموافقة على هذه الرغبة وسلموا له بالأمر.

على أن القارئ في أحداث ذلك اليوم أي يوم السقيفة يصادف قدراً من الروايات الأخر التي تعرض تفاصيل شديدة التشابك والتداخل والتناقض أحياناً عند وصفها لما حدث، بل إن بعض الروايات تذهب إلى حد الزعم أن اللغظ والخلاف بين المهاجرين والأنصار حول أحقية كل فريق منهم بزعامة المسلمين خلفاً لرسول الله ﷺ قد دفع ببعضهم إلى السباب وتبادل بعض العبارات الجارحة، بل إن الأمر حداً ببعضهم إلى التلويح باستخدام السلاح أو كما قالوا : " نعيدها جذعة " وقيل كذلك أن الأنصار لو حوا بإخراج المهاجرين من مدينة رسول الله ﷺ !

وأياً كان الأمر في شأن ما حدث في سقيفة بني ساعدة غداة وفاة رسول الله ﷺ فإن أكثر الروايات تشير إلى أن فجيعة المسلمين برحيل رسول الله ﷺ وانقطاع خبر السماء لم يحولا بين المسلمين في المدينة وبين التفكير في مسألة الحكم ولو ليوم أو بعض يوم حتى يوار الجسد الشريف الثرى.

على كل من أجل الإقتراب من أحداث يوم السقيفة وتقديم صورة تقريبية لما حدث فإنه لا مناص من إثارة بعض الأسئلة مثل:

متى كانت وفاة الرسول ﷺ؟ وهل كانت مفاجئة حقاً؟ وما حقيقة الدهشة التي أصيب بها مجتمع المدينة حال سماع خبر الوفاة؟ وما القول في مبادرة الأنصار إلى الاجتماع في سقيفتهم والتفاكر في أمر زعامة المدينة على الرغم من ذلك الحادث الجلل؟!!

ثم ما حقيقة ما جرى في سقيفة بني ساعدة؟ وماذا عن المجادلة بين المهاجرين والأنصار في ذلك الاجتماع؟ وكيف رجحت حجج المهاجرين بحجج الأنصار وتمت البيعة لأبي بكر؟ وأخيراً ما حقيقة موقف سعد بن عبادَةَ وأنصاره من البيعة؟ إن الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها يمكن العثور عليها أو تلمسها من خلال الروايات المختلفة بشأن ذلك الحدث والتي ستكون محور هذه الدراسة.

لذلك فإن الدراسة قسمت إلى أربعة محاور، الأول منها بعنوان : ما قبل يوم السقيفة، وهو يعنى بالتعرف على الجو العام في المدينة بخصوص التكهنات المتعلقة بمن يخلف رسول الله ﷺ حال وفاته . والمحور الثاني : روايات يوم السقيفة، حيث صنفت هذه الروايات من حيث الإيجاز والطول ومن حيث الأسانيد أو عدمها، والمحور الثالث هو: نقد الروايات وبيان ما يمكن قبوله منها وما يمكن رفضه . أما المحور الرابع: فهو بيعة أبي بكر، حيث ستناقش الظروف التي تمت فيها البيعة، ومواقف كل من المهاجرين والأنصار تجاهها.

1 - ما قبل يوم السقيفة :

أ - توجس قرب الوفاة :

إن المقصود بما قبل يوم السقيفة هو فترة مرض الرسول ﷺ التي دامت قرابة أسبوعين وما سادها من توقعات وما ظهر فيها من اتجاهات حيال الفراغ السياسي الذي ربما ينشأ في أي لحظة حال وفاة الرسول ﷺ .

ولكن قبل مناقشة أحداث تلك الفترة القصيرة نسبياً لابد من إثارة هذا السؤال

وهو:

هل كانت وفاة الرسول ﷺ مفاجئة؟

بادئ ذي بدء لابد من التذكير أن هاجس وفاة الرسول ﷺ لم يكن غائباً عن أهل المدينة إذ أنهم يدركون تمام الإدراك أن رسول الله ﷺ بشر وهو عرضة للموت أو القتل، فهم يتلون القرآن ويمرون بالآيات تذكرهم دائماً بمصير الرسول الكريم كقوله تعالى:

[ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً ... ] [ آل عمران: 144 ] . وقوله تعالى : [ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ] [ الأنبياء: 34 ] . وقوله [ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ] [ الزمر: 30 ] .

لذلك فإن المسلمين وخاصة أهل المدينة منهم يعرفون أن النبي ﷺ سيرحل عنهم ذات يوم، ولكنهم حتماً لا يعرفون متى يقع ذلك اليوم، ولا بد كذلك أن الرسول ﷺ كان يلح لهم في بعض المناسبات بقرب رحيله عن دنياهم الفانية، أسوة بمن سبقه من أنبياء الله ورسله. ألم ينح نفسه للمسلمين في حجة الوداع في السنة العاشرة من الهجرة إذ قال : " ... فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً ... " . وبعد

عودته من حج ذلك العام وفي الشهور الأولى من السنة الحادية عشرة للهجرة، جمع أصحابه في المسجد ونعى لهم نفسه الشريفة، وقال:

" إن عبداً من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله..." .

مما تقدم يظهر أن بوادق قرب رحيل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى أصبحت واضحة للبعض من أهل المدينة، ولعل المرض الذي ألم به، أي مرض الوفاة قد جعل الناس لا يستبعدون رحيله من بين أظهرهم، ومن غير المستبعد كذلك أن الناس طيلة فترة مرضه وهي قرابة نصف شهر<sup>(3)</sup> قد أصبحوا يتحدثون فيما بينهم عن الشخص أو الأشخاص الذين يمكن أن يرشحوا للأمر بعد رسول الله ﷺ .

فقد جاء في رواية عن النعمان بن بشير (ت: 64هـ) أنه لما ثقل رسول الله ﷺ تكلم الناس فيمن يقوم بالأمر بعده، فقال قوم: أبو بكر ، وقال قوم: أبي بن كعب.

وجاء في روائع عند البخاري أن العباس عم الرسول ﷺ قال لعلي بن أبي طالب في أثناء مرض الرسول ﷺ : إذهب بنا إلى رسول الله ﷺ فلنسأله فيمن هذا الأمر؟ إن كان فينا علمنا ذلك وإن كان في غيرنا علمناه فأوصى بنا ... لكن علياً رد على العباس قائلاً: إنا والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده وإني والله لا أسألها رسول الله ﷺ .

وذكر ابن سعد رواية عن ابن عباس على النحو التالي :

" أرسل العباس إلى بني عبد المطلب فجمعهم عنده فقال العباس لعلي : يا ابن أخي؛ إني قد رأيت رأياً لم أحب أن أقطع فيه شيئاً حتى أستشيرك . فقال علي: وما هو؟ قال: ندخل على النبي ﷺ فنسأله إلى من هذا الأمر من بعده؟ فإن كان فينا لم نسلمه والله ما بقي منا في الأرض طارف، وإن كان في غيرنا لم نطلبها بعده أبداً . فقال علي: يا عم وهل هذا الأمر إلا إليك؟ وهل من أحد ينازعكم هذا الأمر؟ قال : فتفرقوا ولم يدخلوا على النبي ﷺ .

وإذا ما تركنا الروايات المنسوبة لابن عباس والتي تبين وجهة نظر بني عبدالمطلب في حقهم بالخلافة أو الحكم جانباً، فإن عائشة أم المؤمنين تقدم أكثر من رواية تظهر فيها رغبة رسول الله ﷺ في إسناد أمر الناس لأبيها. قالت:

" لما ثقل رسول الله ﷺ دعا عبد الرحمن بن أبي بكر، فقال: انتني بكتف اكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه . فذهب عبد الرحمن ليقوم، فقال : إجلس، أباي الله والمؤمنون أن يختلف على أبي بكر ...

وجاء عن عائشة أيضاً في معرض وصفها لمرض رسول الله ﷺ أنه قال : "لقد هممت أو أردت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه، فأعهد، أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون، ثم قلت ياأبي الله ويدفع المؤمنون أو يدفع الله ويأبى المؤمنون.

يتبين من الروايات السابقة أن بعض أصحاب رسول الله ﷺ ممن كان يشغل بالهم أمر المسلمين بعد وفاته، قد تداولوا بينهم مشكل الفراغ السياسي الذي سينتج بعد ذلك. فأظهروا شيئاً من الرغبة في مكاشفة النبي بالأمر حتى إن العباس عم الرسول ﷺ قد هم أكثر من مرة في الحديث صراحة مع الرسول في هذا الشأن.

ويظهر من هذه الروايات أيضاً أن هناك فريقين لا ثالث لهما هما المرشحان لولاية الأمر بعد وفاة الرسول ﷺ . يمثل الفريق الأول منهما أبو بكر الصديق أما الفريق الثاني فيمثله بوضوح كل من العباس عم الرسول ﷺ وعلي بن أبي طالب، وإن كان قد أفضح في إحدى الروايات أبي بن كعب الأنصاري منافساً لأبي بكر!

ومع التسليم بصحة بعض هذه الروايات إلا أن البعض الآخر لا يسلم من المآخذ التي تلقي ظلالاً من الشك حول مصداقيتها.

فإحدى الروايات مثلاً تجعل أبي بن كعب مساوياً لأبي بكر من حيث الأهلية لولاية الأمر بعد رسول الله ﷺ، راويها هو النعمان بن بشير وهو من مواليد السنة الثانية للهجرة وتوفي الرسول ﷺ وسنه في أحسن الأحوال لا يتعدى التاسعة لذلك فإنه من غير المحتمل أن يشارك طفل كهذا في أهم حدث سياسي تشهده المدينة حينذاك.

وجاء في إحدى روايات ابن سعد عن ابن عباس الحوار الذي دار بين علي بن أبي طالب والعباس في شأن الأمر بعد الرسول ﷺ فيخاطب علياً العباس بقوله : " يا

عم وهل هذا الأمر إلا إليك " ووجه الإشكال في هذه الرواية أنها ترشح العباس عم الرسول ﷺ لولاية المسلمين وهو الذي لم تكن له في الإسلام ولا في الهجرة سابقة وفي مجتمع المدينة من المهاجرين من يتقدم عليه.

وجاء في رواية أخرى عن زيد بن أسلم مفادها أن العباس ذهب إلى الرسول ﷺ في مرض الوفاة وأن علياً سأله عن سبب الزيارة فأجابه العباس بقوله : أريد أن أسأل رسول الله ﷺ أن يستخلف منا خليفة... ولكن علياً صدّه عن ذلك بقوله: لا تفعل ... .

ووجه الضعف في هذا الخبر هو ورود مصطح " لخ " خليفة " إذ ربما أن هذا المصطلح لم يكن معروفاً قبل وفاة رسول الله، بل إن المسلمين في اجتماع السقيفة كانوا يتداولون في مناقشتهم ذلك اليوم مصطلحات مثل : الأمراء، ولاية الأمر أو الأئمة.

وأخيراً فإن مما يستغرب له أن الرواية التي رشحت أبي بن كعب منافساً لأبي بكر في أمر الولاية قد أسقطت إسم سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج الذي لا منازع له بينهم وهو مرشحهم في يوم السقيفة ! وعلى كل فما دام أن صاحب هذه الرواية هو النعمان بن بشير فإن إسقاطه لإسم سعد بن عبادة ينسجم في واقع الأمر مع موقف والده بشير بن سعد في السقيفة ومعارضته لترشيح سع بن عبادة.

إجمالاً إن الذي يمكن الخلوص إليه هو أن هذه الروايات التي سبقت مناقشتها تؤكد للباحث حقيقة في غاية الأهمية ذات صلة قوية بيوم السقيفة، وهي : أن موت الرسول ﷺ لم يكن مفاجئاً بل كان المسلمون يتوقعون حدوثه في أي لحظة وعلى وجه الخصوص في فترة مرضه الأخيرة . ولذلك فإن طائفة من المسلمين قد أهمهم هذا الأمر وكرثهم وقلبوا الأمر على وجوهه ورشحوا من يعتقدون أنهم أجدر بملء الفراغ الذي سيعقب وفاة الرسول ﷺ .

ب - وفاة الرسول ﷺ :

قبل عرض ومناقشة روايات يوم السقيفة يحسن التذكير باليوم والتاريخ اللذين قبض فيهما رسول الله ﷺ لما لذلك من علاقة وثيقة باجتماع السقيفة وما تمخض عنه من نتائج تركت أثراً واضحاً في تاريخ المسلمين.

لا توجد في الحقيقة معلومات مؤكدة عن اليوم والتاريخ الذي وقعت فيه وفاة الرسول ﷺ ، مع العلم أنه توفي في شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشر للهجرة، أي بعد حجة الوداع.

والمتعارف عليه أنه توفي يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول وهو أمر ليس مقطوعاً بصحته كما بيّن ذلك ابن حجر العسقلاني.

وكذلك فإن السهيلي ( ت: 581هـ ) وهو متقدم على العسقلاني قدم أكثر من افتراض في تحديد زمن وفاة الرسول ﷺ ورجح أن تكون الوفاة إما في أول يوم من ربيع الأول وإما في اليوم الثاني منه.

وينقل ابن سعد رواية عن شيخه الواقدي ربما أنها أكثر دقة من سابقتها وتكاد تتفق مع ما يرححه السهيلي بخصوص يوم ووقت وفاة الرسول ﷺ إذ قال:

اشتكى [ أي الرسول ] يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من صفر سنة إحدى عشرة فاشتكى ثلاث عشرة ليلة، وتوفي ﷺ يوم الاثنين لليليتين مضتا من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة.

ولكن ما يثير الاستغراب أن البخاري في صحيحه ذكر عدة أحاديث في باب : مرض النبي ﷺ ووفاته، ولم يذكر زمن وفاة الرسول ﷺ ولا حتى اليوم الذي توفي فيه.

وبالقدر الذي يجده الباحث من الإختلاف في اليوم والتاريخ اللذين توفي فيهما الرسول ﷺ، يجد كذلك قدراً لا بأس من الإختلاف في الروايات المتصلة ببقاء جسده الشريف قبل دفنه.

ومرة أخرى يقدم ابن سعد بوايتين عن اليوم والوقت الذي دفن فيه الجسد الشريف، فواحدة نقلاً عن شيخه الواقدي والأخرى نقلاً عن عارم بن الفضل وكلتا الروايتين تذكران أن الرسول ﷺ توفي يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثاء.

ثم أننا نجد عند ابن سعد روايتين أخريين تجعلان وقت الدفن يوم الأربعاء وكلتا الروايتين عن الواقدي عن رواته. حيث جاء في الأولى قوله: توفي رسول الله ﷺ يوم



الاثنين حين زاغت الشمس ودفن يوم الأربعاء . وجاء في الثانية أن رسول الله ﷺ توفي يوم الاثنين فمكث يوم الاثنين والثلاثاء حتى دفن يوم الأربعاء.

ونتيجة لهذا الوقت الطويل نسبياً في بقاء الجسد الشريف دون دفن سيما وأن الوفاة في شهور الصيف من العام فقد طرأت عليه بعض التغيرات الطبيعية التي تطرأ على أجساد الأموات، إذ جاء في إحدى روايات ابن سعد عن وكيع بن الجراح قوله: ترك رسول الله ﷺ بعد وفاته يوماً وليلة حتى ربا قميصه أي - ارتفع كناية عن انتفاخ البطن - ورُئي في خنصره انثناء. وفي رواية عند الواقدي بسنده عن القاسم بن محمد ، أنه لم يدفن جسده الشريف حتى عُرف الموت في أظفاره اخضرت .

وجاء عند الطبري رواية شاذة رواها بسنده عن أبي أيوب عن إبراهيم، قال : لما قبض النبي ﷺ كان أبو بكر غائباً، فجاء بعد ثلاث، ولم يجترئ أحد أن يكشف عن وجهه؛ حتى إربدَ بطنه؛ فكشف عن وجهه وقبل بين عينيه ....

ومع التحفظ على هذه الرواية لأن الروايات المتواترة تجمع على نقيضها إذ أن أبا بكر كان في المدينة صبيحة يوم الوفاة وما تلاه من أيام إلا أن الإستشهاد بها هنا هو فقط للتدليل على مدى تعارض الروايات حول ذلك الحدث. لا بل إن هناك روايات أخر تذهب إلى أن تأخير دفن الجسد الشريف مرجعه إلى الشك في وفاته حقيقة، فقد ذكر ابن سعد بسنده عن عوف عن الحسن قال:

لما قبض رسول الله ﷺ، انتمر أصحابه فقالوا: تربعوا بنبيكم ﷺ ، لعله عرج به. قال فتربعوا به حتى ربا بطنه، فقال أبو بكر: " من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ...".

وروى ابن سعد بسنده عن الواقدي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : اقتحم الناس على النبي ﷺ في بيت عائشة ينظرون إليه فقالوا : كيف يموت وهو شهيد علينا ونحن شهداء على الناس ... والله ما مات ولكنه رُفِعَ كما رُفِعَ عيسى بن مريم .. ونادوا في حجرة عائشة وعلى الباب :

لا تدفنوه فإن رسول الله ﷺ ، لم يمّت!

هذه الروايات المختلفة حول المدة التي بقي فيها جسد الرسول ﷺ دون أن يدفن وما قيل عن الشك في وفاته وما قيل عن التغيرات الطبيعية التي طرأت على الجسد، قادت أخيراً بعض الدارسين المحدثين إلى بعض الاستنتاجات غير الصائبة.

وعلى كل، فإن تعليل البيهقي لسبب تأخير مواراة جسد النبي ﷺ الثرى ربما يكون سائغاً، قال :

" لما فرغوا من غسل رسول الله ﷺ وتكفينه، وضعوه حيث توفي، وصلى الناس عليه يوم الإثنين ويوم الثلاثاء ودفن يوم الأربعاء ".

ومرة أخرى يعطل تأخير الدفن بكثرة الجموع التي توالى للصلاة عليه فقال : وكانت صلاة الناس عن غير إمام. بدأ المهاجرون يصلون عليه ويستغفرون له، ثم لما فرغ المهاجرون . أدخلت عليه الأنصار، يفعلون مثل ما فعل المهاجرون، ثم نساء المهاجرين، ثم نساء الأنصار، ثم الصبيان ثم العبيد.

واضح من هذا الترتيب في الصلاة على جنازة النبي ﷺ أنه لا يخلو من تكلف . كما أن الصلاة لا تحتاج إلى كل هذا الوقت . المهم أنه جرى سوق هذه الروايات المتنافرة في غالبها حتى يدرك القارئ أنه إذا كانت الأخبار المتصلة بأعظم مصيبة أصيب بها المسلمون أي وفاة الرسول الكريم على هذا القدر من ا لهشاشة وعدم التماسك فماذا ستكون حال الأخبار المتعلقة بأمر السقيفة !؟

## 2 - روايات يوم السقيفة :

تنقسم روايات يوم السقيفة إلى مجموعتين رئيسيتين على النحو التالي :

أ - روايات ما قبل اجتماع السقيفة.

ب - روايات اجتماع السقيفة.

ستعرض هنا روايات كل مجموعة على حدة، ثم تناقش الروايات مجتمعة لوضع الصورة النهائية للموقف.

أ - روايات ما قبل اجتماع السقيفة :

لدينا في هذا الخصوص روايات قليلة تشير إلى أنه بعد وفاة الرسول ﷺ وقبل اجتماع السقيفة طفق بعض أصحاب رسول الله ﷺ يجتهدون رأيهم ويبحثون عن من يمكن أن يخلف رسول الله ﷺ في زعامة الأمة، وكان على رأس أولئك نفر عمر بن الخطاب، الذي رشح أبا عبيدة عامر بن الجراح.

قال إبراهيم التيمي:

لما قبض رسول الله ﷺ أتى عمر أبا عبيدة بن الجراح، فقال: ابسط يدك فلأبايعك فإنك أمين هذه الأمة على لسان رسول الله ﷺ ، فقال أبو عبيدة لعمر: ما رأيت لك [فهمة] - أي ضعف الرأي - قبلها؛ منذ أسلمت، أتبايعني وفيكم الصديق وثاني اثنين.

وجاء في رواية عن محمد بن سيرين، أنه لما توفي رسول الله ﷺ أتوا أبا عبيدة بن الجراح، قال: أتأتوني وفيكم ثالث ثلاثة؟.

وهناك روايات أخر تقول أنه في الوقت نفسه الذي كانت تبذل فيه المحاولات لمبايعة أبي عبيدة بن الجراح، كان العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ يحاول جاهداً إغراء ابن أخيه علي بن أبي طالب بأخذ البيعة له . فقد جاء في رواية عن الواقدي بسنده عن فاطمة بنت حسين، أنه لما توفي رسول الله ﷺ ، قال العباس :  
يا علي ! قم حتى أبايعك ومن حضر، فإن هذا الأمر إذا كان لم يُردُّ مثله،  
والأمر في أيدينا، فقال علي: وأحدُ؟ - يعني يطمع فيه غيرنا - ؟ فقال العباس : أظن  
والله سيكون ....

وذكر جابر بن عبد الله أنه لما قبض رسول الله ﷺ قال العباس لعلي : أخرج  
حتى أبايعك على أعين الناس لا يختلف عليك إثنان، فأبى [ علي ] وقال : أو منهم من  
ينكر حقنا ويستبد علينا ؟ فقال العباس : سترى أن ذلك سيكون، فلما بويع أبوبكر، قال  
له العباس : ألم أقل لك يا علي؟.

وجاء في كتاب الإمامة والسياسة خبراً لعله يلقي شيئاً من الضوء على موقف  
العباس ومحاولاته في إقناع علي بأخذ البيعة لنفسه قبل اجتماع السقيفة، قال : إن  
العباس لقي أبا بكر، فقال: هل أوصاك رسول الله ﷺ بشيء؟ قال : لا، ولقي العباس  
أيضاً عمر، فقال له مثل ذلك. فقال عمر : لا . فقال العباس لعلي : ابسط يدك أبايعك  
ويبايعك أهل بيتك.

مما سبقت الإشارة إليه يتبين أن روايتي التيمي وابن سيرين تؤكدان على  
محاولات ترشيح أبي عبيدة عامر بن الجراح لولاية الأمر بعد رسول الله ﷺ ، إذ أن  
رواية التيمي تزعم أن عمر بن الخطاب هو الذي بادر بترشيح أبي عبيدة للأمر  
ومسوخ ذلك عند عمر أن أبا عبيدة أمين الأمة كما قال عنه رسول الله ﷺ . ولكن هل  
تكفي هذه الصفة وحدها لولاية أمر الناس؟ ثم من الذي فوض عمر بن الخطاب إن  
كان الأمر حقاً بمبايعة أحد أفراد المجتمع نيابة عن المسلمين؟! أليس في المدينة عشية  
وفاة الرسول ﷺ من يتقدم على أبي عبيدة في السابقة في الإسلام وفي صحبة رسول  
الله ﷺ وأين هو عن أبي بكر الصديق؟ ثم أليس عمر هو القائل : " من بايع رجلاً عن  
غير مشورة من المسلمين، فإنه لا بيعه له ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا " وكيف يبغى  
عمر للبيعة لأبي عبيدة وهو لم يصدق بوفاة الرسول ﷺ إلا بعد إعلان أبي بكر للوفاة .  
ثم إن إبراهيم التيمي صاحب هذه الرواية من مواليد النصف الثاني من القرن الهجري

الأول فلم يكن معاصراً لتلك الأحداث وفي الوقت نفسه لم يذكر مصدر روايته ! فكيف يمكن الأخذ بها، سيما وأنها رواية مرسلة؟

وكذلك الشأن في رواية ابن سيرين فهي لا تخلو من غموض ! فمن هم أولئك الذين أتوا أبا عبيدة ليبياعوه؟ أهم المهاجرون أم الأنصار أم هم من أولئك وهؤلاء؟ ومتى كان لقاءهم بأبي عبيدة ومن أوكل إليهم الأمر بمفاوضته؟ زد على ذلك أن رواية ابن سيرين تعد بميزان المحدثين رواية مرسلة إذ أن صاحبها من مواليد سنة 33هـ تقريباً ولم يذكر ممن أخذها.

أما الروايات المتصلة بمحاولات العباس بأخذ البيعة لابن أخيه علي فليس من المستبعد حدوثها وإن كانت أسانيدنا لا تخلو من علة إذ أن والد فاطمة بنت حسين صاحبة الرواية الأولى، كان لا يزال صبياً عشية وفاة رسول الله ﷺ أي أنه لم يكن قد بلغ سن الزواج ولم يكن قد أنجب بعد !

أما رواية جابر بن عبد الله فلا يمكن استبعادها إذا سلمت سلسلة السند من العلل إذ أن جابر كان معاصراً للأحداث حينذاك.

أما رواية صاحب الإمامة والسياسة فهي رواية منقطعة ولا يمكن الأخذ بها على علاتها. وهي على كل، توحى أن العباس لم يطلب البيعة لعلي حتى اطمأن إلى أن أصحاب رسول الله ﷺ والمقربين إليه ووالدي زوجته ليس لديهما خبر من رسول الله ﷺ بشأن ولاية أمر المسلمين، وهي في الوقت نفسه تناقض الروايات الثلاث السابقة من جهة اتصال العباس بأبي بكر وعمر وسؤالهما عن وصية الرسول ﷺ. وإذا كان للباحث القبول بها فما الموقف مما قيل: من انشغال العباس وعلي بأمر جهاز رسول الله ﷺ! وذلك من أسباب عدم اشتراكهما في اجتماع سقيفة بني ساعدة؟ إضافة لذلك فإنه توجد رواية أخرى تشكك في انشغال علي والعباس بأمر جهاز رسول ﷺ يوم الإثنين إذ أن جهازه وغسله كان يوم الثلاثاء، قال ابن حبان:

فلما فرغ الناس من بيعة أبي بكر وهو يوم الثلاثاء أقبلوا على جهازه ﷺ فاختلفوا في غسله....

لذلك فإن الأمر لا يخلو من إشكال !

ب - روايات اجتماع السقيفة :

تنقسم هذه الروايات بطبيعتها إلى قسمين: روايات مختصرة وروايات مفصلة :

#### 1 - الروايات المختصرة :

وهي تلك الروايات الخالية من التفاصيل الكثيرة وهي زيادة على ذلك لا تذكر خلافاً ذا شأن بين المهاجرين والأنصار في أمر الولاية؛ فما أن اجتمع الفريقان في سقيفة بني ساعدة حتى أقر الأنصار لإخوانهم المهاجرين بالأفضلية عليهم، وبايعوا أبا بكر مُسلمين له بالأمر. وأهم تلك الروايات هي :

رواية عبد الله بن مسعود (ت: 33هـ) :

قال : لما قبض رسول الله ﷺ قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير . فأتاهم عمر فقال: أستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قد أمر أبا بكر أن يصلي بالناس؟ فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر! قالوا: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر.

أما أبا سعيد الخدري (ت : 74هـ) فلدیه رواية أكثر تفصيلاً من الرواية السابقة إذ قال : قبض رسول الله ﷺ واجتمع الناس في دار سعد بن عباد، وفيهم أبو بكر وعمر، قال: فقام خطيب الأنصار، فقال: أتعلمون أن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين ونحن كنا أنصار رسول الله ﷺ فنحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره. قال: فقام عمر بن الخطاب فقال: صدق قائلكم، ولو قلتم غير هذا لم نتابعكم، فأخذ بيد أبي بكر، وقال: هذا صاحبكم فبايعوه. فبايعه عمر، وبايعه المهاجرون والأنصار.

ونجد كذلك لدى القاسم بن محمد (ت: 108هـ) وصفاً آخر لما جرى في السقيفة بين المهاجرين والأنصار، حيث قال: أنه لما توفي النبي ﷺ اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عباد، فأتاهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح، قال : فقام حباب بن المنذر، وكان بدرياً، فقال: منا أمير ومنكم أمير، فإننا والله ما ننفس هذا الأمر عليكم أيها الرهط ولكننا نخاف أن يليها أو قال يليه أقوام قتلنا آباءهم وإخوانهم، قال : فقال عمر: إذا كان ذلك فمت إن استطعت.

فتكلم أبو بكر فقال : نحن الأمراء وأنتم الوزراء، وهذا الأمر بيننا وب ينكم كقد الأبلمة - يعني الخوصة- فبايع أول الناس بشير بن سعد أبو النعمان ....

وكذلك من الروايات الموجزة أو المختصرة نجدها عند الزهري (ت: 124هـ) نقلًا عن عمر بن الخطاب أنه قال : إن بيعة أبي بكر كانت فلتة، فوقى الله شرها . اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة لتبايع سعد بن عباد، فقال الحباب بن المنذر : نحن كتيبة الإسلام وأنتم معشر المهاجرين، منا أمير ومنكم أمير، حتى يكون الأمر بيننا كشق الأبلمة [ يعني الخوصة ] . فتكلم أبو بكر وكان رشيداً، فقال:

نحن قریش والأئمة منا وأنتم إخواننا ووزراؤنا قد أويتم ونصرتهم فجزاكم الله خيراً، إلا سعداً فإنه راغ ثم أتى الشام.

أما آخر هذه الروايات فهي رواية سالم بن عبيد الأشجعي . قال : لما قبض رسول الله ﷺ ، قالوا : يا سالم انطلق إلى صاحب رسول الله ﷺ فادعه فأتيت أبا بكر وهو في المسجد، فأتيته أبكي دهشاً، فلما رأني قال : أقبض رسول الله ﷺ ؟ قلت إن عمر يقول لا أسمع أحداً يذكر أن رسول الله ﷺ قبض إلا ضربته بسيفي هذا، فقال لي انطلق فانطلقت معه ... واجتمع المهاجرون يتشاورون، فقالوا انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار ندخلهم معنا في هذا الأمر . فقالت الأنصار : منا أمير ومنكم أمير، فقال عمر بن الخطاب من له هذه الثلاث ! ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا . من هما؟ قال: ثم بسط يده فبايعوه وبايعه الناس بيعة حسنة جميلة.

2 - الروايات المفصلة :

تنقسم هذه الروايات إلى قسمين، الأول منها ما يمكن أن يطلق عليه الروايات المسندة، أما الثاني منها فهو روايات دون سند.

أ - الروايات المسندة :

ونظراً لطول هذا النوع من الروايات وتفصيل أحداثها وتشعبها فسيكتفى هنا بذكر أهم الأحداث في كل رواية ومن ثم يحال القارئ إلى مصادرها.

يأتي على رأس هذه الروايات رواية ابن أبي عمرة الأنصاري (ت : 35 أو 36هـ) ويمكن تلخيص أهم ما جاء فيها، أنه :

في اليوم الذي توفي فيه رسول الله ﷺ بادر الخزرج إلى الاجتماع في سقيفة بني ساعدة لمبايعة زعيمهم سعد بن عباد بالإمارة، فذهب إليهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة

فكانت المناظرة بين الفريقين حول أحقية كل منهم بالإمارة. فكان من رأي الأنصار أن تكون الإمارة مشتركة أي من المهاجرين أمير ومن الأنصار أمير، ولكن أبا بكر رفض هذا العرض المزدوج للسلطة . وخاطب الأنصار بقوله : نحن الأمراء وأنتم الوزراء.

ثم إن الأنصار رفضوا هذا العرض، وقام خطيبهم الحباب بن المنذر، فقال : منا أمير ومنكم أمير . ورد عليه عمر بن الخطاب قائلاً : لا يجتمع سيفان في غمد، ثم أرفد بقوله : لن ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم . وأمام هذا المنطق القوي، هدد الحباب بإشعال الحرب، فقال : والله إن شئتم لنعيدها جذعة . ثم تدخل أبو عبيدة عامر بن الجراح وطلب من الأنصار عدم الاستمرار في الخلاف، قائلاً :

يا معشر الأنصار أنتم أول من نصر وأزر فلا تكونوا أول من بدل وغير . ثم تقدم بشير بن سعد وهو من سادات الخزرج وطلب من قومه عدم منازعة المهاجرين الأمر، لأن محمداً رسول الله ﷺ رجل من قريش وقومه أحق بميراثه وتولي سلطانه. ثم أن أبا بكر دعى الأنصار إلى الجماعة ونبذ الفرقة، وقدم لهم أبا عبيدة عامر بن الجراح وعمر بن الخطاب ليختاروا أياً منهما للإمارة . ولكن المرشحين رفضا التقدم على أبي بكر بحجة أنه أفضل المهاجرين وثاني اثنين [ في الغار ] وخليفة رسول الله ﷺ في الصلاة، والصلاة أفضل أركان الإسلام، لذلك فقد بايعاه بالإمارة وبايعه من الأنصار بشير بن سعد، ثم إن الأوس بزعامة أسيد بن حضير سارعت إلى بيعه أبي بكر قائلين: لئن وليتموها سعداً [ ابن عبادة ]، عليكم مرة واحدة، لازالت لهم بذلك عليكم الفضيلة. وهكذا تمت البيعة لأبي بكر في سقيفة بني ساعدة وتخلف سعد بن عبادة عنها.

أما رواية ابن عباس ( ت : 68هـ ) عن عبد الرحمن بن عوف عن عمر بن الخطاب فقد جاءت في عدة مصادر وترتبط أحداثها بموسم حج عام 23هـ إذ كان على الحج في ذلك العام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . وهي رواية طويلة ذات تفاصيل متشعبة، يتعلق الجزء الأول منها ببعض الأحكام الفقهية التي لا صلة لها بهذه الدراسة.



لذلك فستقتصر الإشارة هنا إلى أهم القضايا المتعلقة باجتماع السقيفة التي وردت منسوبة لعمر بن الخطاب كما رواها ابن عباس، قال:

بعد وفاة رسول الله ﷺ خالف الأنصار المهاجرين واجتمعوا في سقيفة بني ساعدة. كما أن علي ابن أبي طالب والزبير ومن معهم تخلفوا عن المهاجرين، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، ثم ذهب أبو بكر وعمر إلى اجتماع السقيفة، ووجدا سعد بن عبادة مريضاً مزملاً بين ظهراي القوم. في هذه الأثناء وقف خطيب الأنصار موجهاً خطابه للمهاجرين مستنكراً : أن جماعة من المهاجرين أرادوا أن يختزلونا من أصلنا وأن يحضنونا من الأمر. فيرد عليه أبو بكر قائلاً: لن يُعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، فهم أوسط العرب نسباً وداراً. ثم أنه رشح لولاية الأمر أحد الرجلين عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة. وعلق خطيب الأنصار بالقول : أنا جذيلها المحكك وعُد يقها المرجب، منا أمير ومنكم أمير.

قال عمر : فكثرت اللغظ وارتفعت الأصوات حتى فرقت من الاختلاف، فقلت : ابسط يدك يا أبا بكر ، فبسط يده فبايعته، وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار، وتخلف سعد عن البيعة.

وفي الحقيقة فإن رواية ابن عباس التي نقلها الزهري جاءت من أكثر من طريق، ولذلك فلا عجب إن لاحظ القارئ بعض الاختلافات فيها . ومن هذه الروايات مثلاً رواية المدائني عن أبي جعدة عن الزهري بسنده عن ابن عباس؛ أن عمر بن الخطاب خطب خطبة ذات يوم، فذكر فيها أنه لما قبض رسول الله ﷺ اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، ثم تكلم خطيب الأنصار وبين فضلهم. ثم تكلم أبو بكر فقال: لن تعرف العرب الأمر إلا لهذا الحي من قريش. واستشهد بقوله ﷺ: " هذا الشأن بعدي في قريش " فرد عليه الحباب بن المنذر قائلاً: نعرف فضلكم، ولكن منا أمير ومنكم أمير ... فإلا تفعلوا فأنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب. ثم تدخل بشير بن سعد وهو من الأنصار فعرض على المهاجرين مناصفة الأمر . وقال : الأمر بيننا وبينكم كشق الأبلمة . فرد عليه عمر بن الخطاب قائلاً:

وأنت أيضاً يا أعور ! نشدتك بالله، هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: "الأئمة من قريش"؟ قال بشير: اللهم نعم ... ثم عرض أبو بكر على المجتمعين اختيار أي رجل من المهاجرين لولاية أمر المسلمين، إذ قال :

أدعوكم إلى أي المهاجرين شئتم : عمر أو غيره ( ... ) قال عمر : ثم قال أبو بكر : نحن الأمراء وأنتم الوزراء وإخو اننا في الدين وأحب الناس إلينا، فأذهب الله عنهم نزغ الشيطان.

أما رواية حميد بن عبد الرحمن الحميري ( ت : 95 تقريباً ) فهي طويلة نسبياً ويهمنها منها الجزء المتعلق بخبر اجتماع السقيفة، وأهم ما جاء فيها قوله :

جاء رجل إلى أبي بكر وأخبره أن الأنصار مجتمعة في ظلة بني ساعدة يبائعون رجلاً منهم، قائلين منا أمير ومن قريش أمير . فذهب أبو بكر وعمر بن الخطاب إلى الأنصار في السقيفة. فتحدث أبو بكر وذكر فضل الأنصار على الإسلام والمسلمين وما قاله رسول الله ﷺ فيهم وذكر لهم في الوقت نفسه أحقية قريش في الولاية إذ قال ﷺ: قريش ولاة هذا الأمر . ثم أن سعد بن عبادة أقر بمقولة أبي بكر وبادر قائلاً: فنحن الوزراء وأنتم الأمراء. ونتيجة لموقف الأنصار الإيجابي حاول كل من أبي بكر وعمر مبايعة صاحبه، وأخيراً بسط عمر يد أبي بكر وبايعه فبايعه الناس واستثبتوا للبيعة ، وتخلف عنها علي والزبير . فذهب إليهما عمر فجاء بهما وقال : لتبايعان وأنتما طائعان أو لتبايعان وأنتما كارهان فبايعا.

أما رواية المقبري ( ت : 100 هـ تقريباً ) فأهم ما جاء فيها قوله: أن المهاجرين كانوا قد اجتمعوا في حجرة رسول الله ﷺ بعد موته، فجاءهم معن بن عدي وعويم بن ساعدة فأخبراهم باجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة لبيعة سعد بن عبادة، فذهب أبو بكر وعمر وأبو عبيدة للمجتمعين في السقيفة، فوجدوا سعداً محموماً، فقال له أبو بكر: ماذا ترى يا أبا ثابت؟ فقال سعد: أنا رجل منكم، ثم قام الحباب بن المنذر فخاطب أبا بكر ورفيقه قائلاً: منا أمير ومنكم أمير ... وإن لم تفعلوا لنعيدنها جذعة ... فقام أبو بكر وذكر فضائل قريش ومآثر الأنصار في الإسلام ثم قال : نحن الأمراء وأنتم الوزراء، ولا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش، فقد قال ﷺ :

" الأئمة من قريش "، ثم إن أبا بكر طلب من المجتمعين البيعة لأبي عبيدة أو عمر، فاعتذر الصحابييان عن التقدم على أبي بكر وبايعاه وبايعه الناس، ثم أتوا به إلى المسجد يبايعونه، ولم يفرغوا بعد من غسل رسول الله ﷺ.

ونجد عند ابن أعثم الكوفي ( ت : 314 ) رواية ينسبها للواقدي بسند جمعي، وهي تنفرد عن غيرها من بقية الروايات المفصلة عن يوم السقيفة بطولها وكثرة تفاصيلها وكثرة أشخاصها، إذ أنها تعج بالحركة والحيوية، ويمكن إيجاز أهم ما جاء فيها على النحو التالي:

عدم ذكر الرواية لتاريخ أو يوم وفاة الرسول علماً بأنها تذكر أن أبا بكر أكد للجموع الهائجة وفاة الرسول ﷺ وطلب من الناس التفكير جيداً بمن يملأ الفراغ أو كما قال: لا بد لهذا الأمر من قائم يقوم به. فطلب الحاضرون منه إرجاء المسألة إلى اليوم التالي.

وفي اليوم التالي انحازت طائفة من المهاجرين لأبي بكر وانحازت طائفة من الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساع دة، بينما بقي علي بن أبي طالب وجماعة من بني هاشم ومعهم الزبير بن العوام في منزل علي.

ومن اللافت للنظر في هذه الرواية أن رهطاً من الأنصار فيهم خزيمة بن ثابت وأسيد بن الحضير وبشير بن سعد وعويم بن ساعدة ومعن بن عدي، قد انقسموا على أنفسهم، منهم من يرى أن الأمر يجب أن يكون في الأنصار وآخر يرى أنه يجب أن يكون محصوراً في المهاجرين من قريش لأنهم رهط النبي ﷺ .

ثم حضر إلى السقيفة أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وعثمان بن عفان، فقام ثابت بن قيس وهو من خطباء الأنصار فتحدث عن سابقة الأنصار وفضلهم وأنهم أحق من غيرهم بهذا الأمر ر. فرد عليه أبو بكر معترفاً بفضل الأنصار ومؤكداً على أحقية المهاجرين، قائلاً: إن العرب لا تقر بهذا الأمر إلا لقريش . ثم طلب من المجتمعين البيعة لأبي عبيدة أو عمر . ثم تدخل ثابت بن قيس معترضاً على البيعة لأي من الرجلين، ولكن المهاجرين خاطبوا الأنصار بقولهم: نحن الأمراء وأنتم الوزراء. وأمام إصرار المهاجرين على التمسك بما يرونه حقاً لهم، رد عليهم الحباب بن المنذر

الأنصاري قائلاً : منا أمير ومنكم أمير، ولكن بعض زعماء الأنصار ردوا على صاحبهم قوله مستنكرين ما ذهب إليه من ازدواجية القيادة، قائلين : ليس من الرأي أن يكون أميران في بلد واحد !

ثم تدخل عمر بن الخطاب قائلاً : إن العرب لا ترضى أن يؤمروكم ونبيها من غيركم، ولكن يؤمرون من كانت النبوة فيهم . فيعود الحباب بن المنذر للتأكيد على مطلبه السابق وهو تقاسم السيادة أو الإمارة، وإن أبي المهاجرون ذلك فسيجلبهم عن المدينة!

وفي هذا الجو المضطرب، خرج إثنان من الأنصار هما: معن بن عدي وبشير بن سعد وأيدا البيعة للمهاجرين وذكر أحدهم ما يروى من حديث رسول الله ﷺ "الأئمة من قريش.." ثم إن أبا بكر عرض على المجتمعين البيعة لأحد الرجلين : أبو عبيدة أو عمر بن الخطاب، لكن الرجلان يقولان لأبي بكر لا يتولى هذا الأمر أحد سواك : أنت أفضل المهاجرين .. وابسط يدك نبايعك. فسبقهما بشير بن سعد بالبيعة لأبي بكر وتتابع الأنصار بالبيعة وانكسرت الخزرج خاصة، لما كانوا عزموا عليه من أمر صاحبهم سعد بن عبادة.

أما آخر الروايات المسندة فقد جاءت عند الطبري عن ابن حميد بسنده، إذ قال لما توفي رسول الله ﷺ اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة لمبايعة سعد بن عبادة، فذهب إليهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة فسألوهم عن الأمر؟ فقال لهم الأنصار : منا أمير ومنكم أمير . ورد عليهم أبو بكر قائلاً : منا الأمراء ومنكم الوزراء . ثم أنه خير المجتمعين بالبيعة لعمر أو أبي عبيدة، لكن الصحابييان اعتذرا عن التقدم على أبي بكر، وبإيع عمر ابن الخطاب أبا بكر بالخلافة وبايعه الناس؛ فقالت الأنصار أو بعضهم : لا نبايع إلا علياً. وتخلف عن بيعة أبي بكر علي وبنو هاشم والزبير وطلحة بن عبيدالله، وذهب عمر إلى علي ورهطه فأخذهم للبيعة.

ب - الروايات غير المسندة :

لدينا هنا رواية واحدة تتحدث عن اجتماع السقيفة ومع أنها دون سند إلا أنها تقدم بعض التفاصيل التي قد لا توجد في بعض الروايات المتداولة عن بيعة السقيفة . وهنا أهم ما جاء في فيها من أخبار على النحو التالي

قال اليعقوبي ( ت: 280 هـ ) : اجتمعت الأنصار يوم وفاة النبي ﷺ في سقيفة بني ساعدة لمبايعة سعد بن عبادة . فلما سمع المهاجرون بخبر الاجتماع ذهبوا إليه

مسرعين يتقدمهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة عامر بن الجراح . فقال المهاجرون  
للأنصار: نحن منا رسول الله ﷺ فنحن أحق بمقامه. فقال لهم الأنصار: منا أمير ومنكم  
أمير. فأجابهم أبو بكر بالقول: منا الأمراء وأنتم الوزراء. فاعترض ثابت بن قيس  
الأنصاري مبيناً فضل الأنصار وأحقيتهم بالأمر، فقاطعة أبو بكر، وقال: إن قريشاً  
أولى بالأمر منكم، ثم طلب من المجتمعين البيعة لأحد الرجلين عمر بن الخطاب أو أبي  
عبيدة، لكن الصحابييين رفضا التقدم على أبي بكر، فبايعاه، ثم بايعه من كان معه من  
قريش ومن ثم حث أبو عبيدة الأنصار على البيعة لأبي بكر، وكذلك فعل عبد الرحمن  
بن عوف، ثم قام المنذر بن أرقم وهو من فريق الأنصار، فقال للمهاجرين: أنه لو كان  
علياً [ بن أبي طالب ] طلب هذا الأمر لم ينازعه أحد.

وفي هذا الجو المشحون بالتوتر بادر بشير بن سعد الخزرجي بالبيعة لأبي بكر،  
فكان أول من بايع من الأنصار، وتبعه أسيد بن حُضير الأوسي وتتابع الناس على  
البيعة.

### 3 - نقد الروايات :

هنا مجموعتان من الروايات المتعلقة بأحداث يوم السقيفة أو اجتماع السقيفة، وأحد  
هاتين المجموعتين عبارة عن روايات قصيرة خالية من التفاصيل . بينما المجموعة  
الأخرى حافلة بشيء غير قليل منها . وقد تم استعراض كلتا المجموعتين بصورة  
موجزة. وسنعرض لهما هنا بالنقد بدءاً بالمجموعة الأولى أي الروايات المختصرة.

#### أ - الروايات المختصرة :

كما مر سابقاً فإن الروايات المختصرة تكاد كلها تقريباً توحى للقارئ بأن الأنصار  
كانوا مستسلمين لمشيئة إخوانهم المهاجرين.

فالرواية الأولى، وهي رواية عبد الله بن مسعود فإنها على إيجازها لا تخلو من  
غموض، فالأنصار ينادون بوجوب الإمرة المشتركة " منا أمير ومنكم أمير " . ثم  
يذكرهم عمر بن الخطاب بأن الرسول ﷺ قد أمر أبا بكر ليصلي بالناس ولذلك فأبي أحد  
تطيب نفسه بالتقدم على أبي بكر؟ فيجيبه الأنصار قائلين: نعوذ بالله أن نتقدم على أبي  
بكر.

وكما هو واضح من هذه الرواية ليس فيها ذكر لمكان الاجتماع ولا لأحد من شخصيات الأنصار المشاركة فيه؛ ثم هل يعني قول الأنصار : نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر، يعني أنهم أسلموا له القيادة؟ وهل تمت البيعة الخاصة في ذلك الاجتماع فعلاً؟

أما رواية أبي سعيد الخدري فتفيد أنه بعد وفاة الرسول ﷺ اجتمعت الناس في دار سعد بن عبادة وفيهم أبو بكر وعمر وأن خطيب الأنصار ذكر أن الأنصار كانوا أنصار رسول الله ﷺ ، وأنهم سيكونون أنصار خليفته، فقام عمر فأثنى على مقولة خطيب الأنصار وأخذ بيد أبي بكر وبايعه، فبايعه المهاجرون والأنصار.

والملاحظ على هذه الرواية إشارتها إلى دار سعد بن عبادة مكاناً للاجتماع وهذا مخالف لما هو مشهور، وما حجم دار سعد حتى تستوعب هذا العدد الجم من المجتمعين؟ ثم من هو متحدث الأنصار الذي أعلن تأييد الأنصار المطلق لمن يخلف رسول الله ﷺ من المهاجرين؟ وما دام الاجتماع في دار سعد بن عبادة زعيم الخزرج فماذا عن مقامه في ذلك المؤتمر؟ ألم يكن مرشحاً نفسه لزعامة المسلمين؟ وكذلك فإن مصطلح خليفة لم يكن قد عرف في ذلك اليوم ! لذلك فإنه مما قد يساعد على إزالة الغموض في هذه الرواية، رواية أبي سعيد الخدري الأخرى عند البلاذري، وفيها أ نه غداة وفاة رسول الله ﷺ عرض الأنصار على المهاجرين أن تكون السلطة مشتركة أي مناصفة بين المهاجرين والأنصار، أي رجل من المهاجرين ومعه رجل من الأنصار . وبعد طول جدال قام زيد بن ثابت من الأنصار، فقال: إن رسول الله ﷺ من المهاجرين، وكان إمامنا وإمام المسلمين، وإنما يكون الإمام من المهاجرين ونحن أنصاره ... فقام أبو بكر فقال: جزاكم الله من حي خيراً يا معشر الأنصار، أما والله لو فعلتم غير ذلك لما صالحناكم عليه.

هذه الرواية تذكر لنا أحد رجال الأنصار وهو زيد بن ثابت، وتستبعد مصطلح خليفة وتقدم بدلاً عنه مصطلح إمام، وهو مصطلح أقرب لمفهوم القوم آنذاك، ولكن مما تجدر ملاحظته أن زيداً لم يكن أخطر الأنصار شأنًا، فهو لما توفي رسول الله ﷺ ، كان ابن الحادية والعشرين من العمر تقريباً ومن غير المحتمل أن يتقدم على سراة الأنصار ويصير حكماً في هذا الشأن الخطير، علماً أن هذه هي المناسبة الوحيدة التي تأتي فيها الإشارة إلى زيد بن ثابت بالإسم، وهي كذلك الرواية الوحيدة من هذه المجموعة من الروايات التي تهمل ذكر عمر بن بن الخطاب (!) .

ولعل ما يزيد الأمر صعوبة هو وجود رواية أخرى لأبي سعيد الخدري في الموضوع ذاته، تنسب مقولة: لو فعلتم غير ذلك ما صالحناكم عليه . لعمر بن الخطاب وليس أبي بكر الصديق كما تقدم.!

لذلك فإنه من المتعذر أخذ هذه الرواية على محمل الجد.

أما رواية القاسم بن محمد، فهي تذكر أن الأنصار اجتمعت إلى سعد بن عبادة بعد وفاة الرسول ﷺ، وجاءهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وأن الحباب بن المنذر اقترح على المجتمعين أن يكون الأمر بيد أمير من المهاجرين وآخر من الأنصار، لكن أبا بكر عرض رأياً مخالفاً وهو مناصفة الأمر بين الفريقين، فكان بشير بن سعد أول من بايع من الأنصار، وتتابع الناس.

وهذه الرواية على الرغم من وضوح أفكارها وذكرها لسقيفة بني ساعدة مكاناً للاجتماع إلا أنها تغفل الدور الذي لعبه سعد بن عبادة وتعطي الدور الرئيس للحباب بن المنذر، ثم هل قبل سعد ببيعة أبي بكر أم لا؟ وماذا عن دور عمر بن الخطاب في ذلك الاجتماع؟

ولهذا فإنه ليس من السهل القبول بهذه الرواية على علاتها إذ أنها تحمل في طياتها أكثر من تساؤل لا نجد إجابة شافية عنها.

أما الرواية المنسوبة لعمر بن الخطاب فإنها لا تخلو من غموض إذ أنها تذكر المحاوراة القصيرة بين الحباب بن المنذر وأبي بكر الصديق، وأغفلت في الوقت نفسه أي دور لعمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح علماً بأن هناك أكثر من رواية تؤكد الدور الحاسم الذي قام به عمر في سبيل البيعة لأبي بكر. إضافة إلى ذلك فإنها لم تذكر شيئاً عما قيل عن مواقف كل من بشير بن سعد وأسيد بن حضير التي ساعدت علىبيعة أبي بكر. وهي لم تذكر كذلك شيئاً عن خطبة سعد بن عبادة التي أشارت إليها بعض المصادر في ذلك الاجتماع، ولكنها بدلاً من ذلك تكتفي بالقول أنه سافر إلى الشام، وكأنها توحى للقارئ أن رحيل سعد إلى الشام ربما كان بمثابة احتجاج على البيعة لأبي بكر، ومعلوم أن انتقال سعد بن عبادة إلى الشام كان في أوائل خلافة عمر أي بعد وفاة أبي بكر الصديق.



أما آخر هذه المجموعة المختصرة من الروايات فهي رواية سالم بن عبيد الأشجعي، وهو حسب أحداث هذه الرواية أحد شهود يوم السقيفة وقد أشار في خبره إلى بيعة أبي بكر في سقيفة بني ساعدة، إذ ذكر أنهم طلبوا منه استدعاء أبي بكر فذهب حيث وجده في المسجد وأخبره بوفاة الرسول ﷺ ، فجاء معه إلى بيت رسول الله ﷺ ... إلى آخر الخبر.

ووجه الإشكال في هذا الخبر أنه لا يفيد من هم الذين طلبوا من سالم دعوة أبي بكر؟ والأشكال الآخر هو وجود رواية أخرى لسالم نفسه عند النسائي ربما أفادت أن أبا بكر كان في مسجد رسول الله ﷺ وقت الوفاة. إذ جاء فيها قول سالم: ... فوجدت أبا بكر قائماً في المسجد، قال أبو بكر: أمات رسول الله ﷺ؟ قلت إن عمر يقول: لا يتكلم أحد بموته إلا ضربته بسيفي .. فوضع يده على ساعدي ثم أقبل يمشي حتى دخل فوسعوا له، حتى أتى النبي ﷺ....

وإذا فُرض جديلاً أن أبا بكر كان في مسجد رسول الله ﷺ عند وفاة الرسول ﷺ فأين كان عمر ابن الخطاب آنذاك وهو في ثورة غضبة يهدد بالقتل من يقول بوفاة الرسول ﷺ؟ ألم يكن بالمسجد كذلك؟

ثم أين أبو بكر من رنة الأسي والحزن التي عمّت بيوت رسول الله ﷺ ألم يسمع شيئاً من هذا؟ لقد كان حقيق به أن يسمع شيئاً من هذا دون حاجة لمن يخبره إذ أن بيوت رسول الله ﷺ كلها لافظة إلى المسجد!!

وكذلك فإن قول سالم إن أبا بكر وضع يده على ساعدي وأقبل يمشي يوحى دون شك أن أبا بكر كان حينذاك في مسجد رسول الله ﷺ.

ولعل ما يلقي ظلالاً كثيفة من الريبة في هذه الروايات هو روايات عائشة زوج رسول الله ﷺ إذ ذكرت في أكثر من رواية أن أباها كان في السنح وقت وفاة الرسول ﷺ ، قالت: أقبل على فرس من مسكنه بالسنح حتى نزل فدخل المسجد.

ولعل ما يدل على ذهاب أبي بكر إلى أهله بالسنح في اليوم الذي توفي فيه رسول الله ﷺ ما جاء عند الطبري بسنده قول أبي بكر مخاطباً الرسول ﷺ : يا نبي الله ؛ إنني أراك قد أصبحت بنعمة الله وفضله كما تحب، واليوم يوم إبنة خارجة، فأتيها، ثم دخل رسول الله ﷺ وخرج أبو بكر إلى أهله بالسنح.

وهكذا فروايات سالم بخصوص بيعة السقيفة يجب التعامل معها بقدر كبير من التحوط إذ أنها لا تخلو في ظاهرها من تناقض، مما يقلل من مصداقيتها.

هذا هو الجزء الأول من روايات اجتماع السقيفة بين المهاجرين والأنصار وهي روايات تتميز بالإيجاز، وأهم ما فيها إبحاؤها للقارئ أنه لم يحدث كبير خلاف بين الفريقين فما أن التئم جمعهم حتى انفقوا على بيعة أبي بكر الصديق بالخلافة أو بعبارة أكثر دقة مبايعته بالإمارة، إذ أنه كثيراً ما تردد بين الطرفين ذلك اليوم قولهم : منا أمير ومنكم أمير. ولم يخرج عن هذا الإجماع الذي تصوره لنا هذه الروايات سوى رواية الزهري بسنده عن عمر بن الخطاب التي جاء فيها قول عمر : إن سعد بن عبادة راغ إلى الشام، وقد سبقت الإشارة في موضع متقدم أن ذهب سعد إلى الشام كان في خلافة عمر بن الخطاب وليس في أيام أبي بكر الصديق !!

ب - الروايات المفصلة :

وهي ثمان روايات كثيرة التفاصيل متشعبة الأحداث، منها رواية دون سند . وأول هذه الروايات رواية ابن أبي عمرة الأنصاري، ولعل ما يميزها عن سواها نقلها لخطبة سعد بن عبادة في قومه يوم السقيفة وقبل مجيء المهاجرين إليهم.

ولكن هناك بعض المآخذ على هذه الرواية منها: أنها لا تذكر كيفية وصول خبر اجتماع الأنصار إلى عمر بن الخطاب ؟ وأين كان عمر لحظة سماع أنبا ؟ ثم إنها تذكر أن عمر ذهب لأبي بكر وهو مشغول بأمر جنازة الرسول ﷺ مع بقية آل بيت النبي فيطلب منه ابن الخطاب ترك ما هو فيه والخروج معه لحضور اجتماع السقيفة . وهذا أمر يصعب تصور حدوثه ! إذ كيف هان على أبي بكر ترك جنازة الرسول ﷺ والانصراف لمجادلة الأنصار في سقيفتهم !

ثم ألم يكن خروج أبي بكر المفاجئ من بيت الرسول ﷺ مدعاة لفضول بعض آل البيت المشاركين في تجهيز جنازة الرسول ؟ ألم يسأل أحد منهم إلى أين هو خارج ؟ ألم يحاول أحد منهم أن يتبع أبي بكر ليعلم الخبر ؟ لعل ما يلقي شيئاً من الشك في مدى دقة هذا الخبر هو ما جاء في مصدر آخر جاء فيه على لسان عمر قوله:

بينما نحن في بيت رسول الله ﷺ إذ رجل ينادي من وراء الجدران، أخرج يا ابن الخطاب، فقلت: إليك عني فأنا عنك متشاغل، - يعني بأمر رسول الله ﷺ - ، فقال: إنه قد

حدث أمر، إن الأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة ، فأدركهم قهلاً أن يحدثوا أمراً يكون فيه حرب.

على كل يجب عدم الاعتماد على هذه الرواية إذ أنها وردت عند الحلبي ولم يذكر مصدرها لذلك فإنها لا تخلو من إشكال.

والرواية الثانية بهذا الشأن رواية ابن عباس بسنده عن عمر بن الخطاب وهي كما أسلفنا رواية طويلة والجزء المهم فيها ذلك المتصل بأحداث السقيفة . وأبرز ما يمكن ملاحظته على الرواية هو تخلف علي بن أبي طالب والزبير بن العوام ومن معهم بعد وفاة الرسول ﷺ في بيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، ولكنها لا تفسر سبب جلوسهم في بيت فاطمة، علماً أن الروايات الأخرى تذكر أن علياً وأهل بيت رسول الله ﷺ كانوا مشغولين في تجهيز جنازة الرسول الكريم، ومعلوم أن جنازة رسول الله كانت في بيت عائشة.

وكذلك فإن الرواية عندما تشير إلى تخلف الأنصار بأسرها في سقيفة بني ساعدة فإنها لا تذكر شيئاً عن سبب تخلفهم وعما تخلفوا؟ ثم ما سبب اجتماعهم في سقيفة بني ساعدة؟ والرواية تذكر أيضاً اجتماع المهاجرين بأبي بكر الصديق، ولكنها لا تذكر مكان الاجتماع ولا سببه، وكيف تم؟ ومعلوم حسب رواية ابن أبي عمرة الأنصاري أن أبا بكر كان مهموماً في ذلك الوقت مع بقية آل بيت الرسول ﷺ في تجهيز الجسد الشريف إلى مثواه الأخير.

إن الرواية تقدم تفاصيل دقيقة عن أحداث يوم السقيفة وتذكر ما قاله كل من أبي بكر وعمر في ذلك الاجتماع وتذكر كذلك آراء خطباء الأنصار في مسألة ولاية الأمر بعد رسول الله ﷺ ولكنها في ذات الوقت لم تسم لنا واحداً منهم بل إنها لم تذكر شيئاً عن الخطاب الطويل الذي ألقاه سعد بن عباد في ذلك الاجتماع الذي نجده مفصلاً لدى ابن أبي عمرة الأنصاري ولا تقدم صورة واضحة لموقف سعد بن عباد من بيعة أبي بكر. من أجل ذلك كله فإنه يتوجب على الباحث النظر إلى هذه الرواية بقدر كبير من الحذر.

أما رواية حميري فيظهر من سياقها أن أبا بكر كان يخطب بالمسلمين في مسجد رسول الله ﷺ ويؤكد لهم وفاة الرسول ﷺ عندما جاءه خبر اجتماع الأنصار في

ظلة بني ساعدة، ولكنها لا تذكر شيئاً عن الرجل الذي جاء بخبر اجتماع الأنصار، وهي تتعارض مع ما قيل من أن أبا بكر كان في بيت الرسول ﷺ عندما أعلمه عمر بن الخطاب باجتماع الأنصار. وجاء في الرواية كذلك احتجاج أبي بكر في اجتماع السقيفة بقول الرسول ﷺ: "قريش ولاة هذا الأمر". وأن سعد بن عبادة صادق على ما استشهد به أبو بكر من قول الرسول ﷺ وبادر إلى مخاطبة أبي بكر قائلاً: نحن الوزراء وأنتم الأمراء. ومعلوم أن هذه المقولة لأبي بكر وليست لسعد. على كل، إذا كان موقف الأنصار على هذه الدرجة من الليونة فلماذا يجتمعون في سقيفتهم؟ وإذا كان زعيمهم سعد بن عبادة يذكر قول رسول الله ﷺ في شأن أمر الولاية ووجوب حصرها في قريش فلماذا إذاً اجتماع السقيفة من حيث المبدأ؟ ولماذا ينازع الأنصار الأمر أهله؟ ومن وجوه ضعف هذه الرواية كذلك عدم الإشارة لخطبة سعد في ذلك الاجتماع، وإغفال أمر أبي عبيدة عامر بن الجراح إذ لم يرد له ذكر؛ وهذا يتعارض مع كثير من الروايات التي تذكر أنه كان أحد الذين رشحهم أبو بكر لولاية الأمر. والرواية تذكر كذلك أن الناس بايعوا وتخلف عنها علي والزبير وأن عمر بن الخطاب جاء بهما قسراً وقال لتبايعان وأنتما طائعان أو وأنتما كارهان فبايعا.

وواضح أن هذا الجزء الأخير من الرواية لا يحتاج إلى دليل على ضعفه إذ يصعب تصور أن يجبر هذان الصحابييان الجليلان على الرضا والتسليم ببيعة من لا يقران له بالأهلية للأمر؟

وإذا كان الأمر كذلك فلماذا لم يكره سعد بن عبادة على البيعة لأبي بكر، فقد ظل مباعداً له منكرأ عليه ولاية المسلمين حسبما جاء في كثير من الروايات.

أما رواية المقبري، فقد ذكرت إسمي الرجلين اللذين أخبرا المهاجرين باجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة وهما: معن بن عدي وعويم بن ساعدة. ويرى أحد الدارسين المحدثين أن كلاً من عويم بن ساعدة ومعن بن عدي البلوي القضاعي لم يتحركا ويقصدا أبا بكر لإبلاغه عن اجتماع السقيفة إلا بدوافع سياسية وعصبية تحركهما معاً. وربما أ، هذا الرأي لا يخلو من وجاهه إذ أن كلا الرجلين ينتميان إلى قبيلة بلي وحليفان لقبيلة الأوس.

لكن الرواية لم تذكر من هم المهاجرون الذين كانوا في حجرة رسول الله ﷺ وقت الوفاة. ولا عددهم ! كما أنه ليس في الرواية شيء عن خطبة سعد بن عباد في الأنصار، بل إن الرواية تصور سعداً من خلال أحداثها رجلاً مستسلماً لمشية المهاجرين. وهذا المنسوب إليه لا يتفق مع ما جاء في رواية أبي عمرة الأنصاري التي رفض فيها سعد الاعتراف ببيعة أبي بكر وهدد المهاجرين بالجوء إلى القوة حتى يسترد منهم ما كان يظن أنه حق له.

وتجب الإشارة هنا أن هذه الرواية هي أيضاً من الروايات القليلة التي يستشهد فيها أبو بكر بقول الرسول ﷺ " الأئمة من قريش " . ولعل الطريف فيها هو تأكيدها على أن البيعة لأبي بكر تمت أولاً في السقيفة ثم في المسجد وأهل بيت رسول الله ﷺ لم يفرغوا من غسله بعد ! وهذا الخبر الأخير المتصل بالبيعتين في آن واحد لا يتفق مع ما يذكر عن البيعة الخاصة التي تمت في السقيفة في اليوم الأول من الوفاة، ثم تلتها البيعة العامة التي تمت في المسجد في اليوم الثاني من الوفاة !

وفي واقع الأمر فإنه يبقى في نفس المتتبع لهذه الأحداث شيء من التردد في قبولها دون إبداء بعض التحفظ، فيا ترى كم يحتاج الناس من الوقت لتغسيل الجنازة وتكفينها وإعدادها لمثاها الأخير؟

نحن نعلم من واحدة على الأقل من الروايات السابقة أن أبا بكر أخرج أو خرج من حجرة النبي ﷺ في أثناء انشغاله مع آل رسول الله في تجهيز الجنازة، ثم أنه ذهب إلى سقيفة بني ساعدة للاشتراك في اجتماع القوم ثم تقاضينا هذه الرواية أن مناقشات السقيفة التي لا يدري على وجه التحقيق الوقت الذي استغرقته وما نتج عنها من البيعة الخاصة والعامة، كل هذه الأحداث تم إنجازها وأهل بيت رسول الله ﷺ لم يفرغوا بعد من غسله !

لذلك فإن تتسارع الأحداث على هذا النحو كفيل بعدم الاطمئنان لمثل هذه الرواية.

وكذلك فإن الرواية التي جاءت عند ابن أعثم الكوفي ، فمما يلاحظ عليها أن خطباء الأنصار في السقيفة كانوا من الكثرة بصورة لافتة مثل: خزيمه بن ثابت وأسيد بن الحضير وبشير بن سعد وعويم بن ساعدة ومعن بن عدي وثابت بن قيس وزيد بن أرقم والحباب بن المنذر، ومع الكثرة الملحوظة لهؤلاء الخطباء فمن الملاحظ عدم

وجود مؤثر لسعد بن عباد في ذلك المؤتمر رغم حضوره وغياب أي أثر لما قيل عن خطبته في قومه في ذلك الاجتماع التاريخي، كما يلاحظ بوضوح كذلك أن الأنصار كانوا منقسمين إلى فريقين وذلك حتى قبل مجيء أبي بكر ورهطه؛ ففريق يرى عدم وجوب منافسة المهاجرين في الزعامة حيث أنهم قبيلة الرسول ﷺ ورهطه الأذنيين ويتزعم هذا الاتجاه أسيد بن حضير الأنصاري الأوسي وبشير بن سعد الأنصاري الخزرجي وعويم بن ساعدة البلوي حليف الأوس.

أما الفريق الآخر أي الفريق المعارض لزعامة المهاجرين والمطالب أن يكون الأمر في الأنصار فيتزعمه ثابت بن قيس وخزيمة بن ثابت والحباب بن المنذر. وربما أن هذا الانقسام في الرأي قد سهل مهمة المهاجرين وساعد على حسم الموقف لصالحهم بسرعة. ومما يسترعي الاهتمام هو عدم استشهاد المهاجرين في محاورتهم لإخوانهم الأنصار بحديث: " الأئمة من قريش " بل إن أحد حلفاء الأوس وهو معن بن عدي البلوي هو الذي إحتج بهذا الحديث إذ قال : أن رسول الله ﷺ قال : " الأئمة من قريش ولا يكون هذا إلا فيهم ". فسارع بشير بن سعد إلى المصادقة على مقولة معن بقوله: لقد سمعنا ذلك منه عليه السلام وعلمت أن قومه أولوا الإمارة من بعده ... الخ).

أما الذي يجب لفت النظر إليه في هذه الرواية هو أن كثرة أشخاصها ليس على الدوام مدعاة للتشكيك في مدى مصداقيتها بل على العكس من ذلك هو ادعى لقبولها حيث أن كثرة أصوات المشاركين وتداخلها أقرب إلى تمثيل الواقع في ذلك الاجتماع. وكذلك فإن ما جاء فيها عن نتيجة اجتماع السقيفة وأن بيعة أبي بكر لم تتم إلا في اليوم الثاني من وفاة الرسول ﷺ هو أمر أقرب إلى المعقول، علماً أن هذه الرواية هي الوحيدة بين جميع الروايات التي تذكر أن الاجتماع والبيعة لم يحدثا إلا في اليوم الثاني وهذا القول مخالف لجميع الروايات المتصلة بأحداث ذلك اليوم.

لكن لعل ما يؤخذ على الرواية إجمالاً هو إظهارها لسعد بن عباد بمظهر الضعيف المستكين لمشينة المهاجرين، لذلك فقد أغفلت الإشارة إلى خطابه المشهور في اجتماع السقيفة وأغفلت في الوقت نفسه المجادلة التي وقعت بينه وبين عمر بن الخطاب وكذلك موقفه النهائي من البيعة لأبي بكر! والرواية في ذات الوقت لم تهمل الإشارة إلى المشادة التي حدثت بين عمر بن الخطاب والحباب بن المنذر.

وسجلت لنا الرواية كثيراً من القطع الشعرية الركيكة . ومقاطع من مقالات نسبت لبعض رجال الأنصار الذين شهدوا اجتماع السقيفة، وكلها من الضعف والتهافت مما يقلل من قيمتها التاريخية، بل لا يستبعد أنها موضوعة على ألسنة أصحابها . وإلا من الذي كان في ذلك اليوم المشحون بالأحداث يتابع القوم ويدون ما قالوه حرفاً بحرف وكلمة بكلمة.

وآخر الروايات المسندة هي رواية ابن حميد عند الطبري؛ وأهم ما يلاحظ عليها أنه ليس فيها أي دور بارز لسعد بن عباد لا من حيث ترشيح نفسه للولاية ولا من حيث الخطاب الذي قيل أنه ألقاه في اجتماع السقيفة (!) . كما يلاحظ كذلك أن بعض الأنصار في أثناء مؤتمر السقيفة رفضوا علانية البيعة لأبي بكر، وقالوا : لا نبايع إلا علياً.

وليس واضحاً من موقف هؤلاء هل هم يرفضون البيعة لأي مرشح من الأنصار أو المهاجرين سوى علي بن أبي طالب أم أنهم لا يبايعون لأحد من المهاجرين سوى علي ؟!

أما الإشكالية الأخرى المتعلقة بهذا الجزء من الخبر فهي أنها لا تفصح عن موقف أبي بكر تجاه أولئك الرافضين للبيعة وهل استمروا على ذلك أم أنهم رضخوا لمشيئة جماعة المسلمين ؟

وآخر ما يمكن الإشارة إليه هنا بقدر من التحوط والحذر هو ما قيل عن عمر بن الخطاب أنه بعد البيعة لأبي بكر حضر علياً وبني هاشم وطلحة والزبير بعد شيء من المقاومة لمبايعة الخليفة . ويظهر من سياق الرواية أن أولئك الرهط بايعوا مكرهين، ويكفي لدحض هذا الجزء من الخبر ما ذكره ابن الأثير نفسه نقلاً عن الزهري، إذ قال:

بقي علي وبنو هاشم والزبير ستة أشهر لم يبايعوا أبا بكر ثم إن ابن الأثير يؤكد خبر الزهري بقوله : " والصحيح أن أمير المؤمنين [ أي علي ] ما بايع إلا بعد ستة أشهر، والله أعلم ."

أما الرواية المرسلة أي التي لا سند لها فهي رواية اليعقوبي، ويلاحظ عليها عدة أمور منها:

ظهور شخصية عبد الرحمن بن عوف ضمن متحدثي السقيفة وتختفي في الوقت ذاته شخصية عمر بن الخطاب (!) ويلاحظ كذلك عدم وجود أي إشارة لأي دور لسعد بن عباد بل يظهر بدلاً عنه ثابت بن قيس بن شماس رأس متحدثي الأنصار، بينما لا يلاحظ أي ظهور للحابب بن المنذر الذي تقدمه الروايات عادة كأحد كبار رجال المعارضة الأنصارية للمهاجرين في ذلك الاجتماع . وفي سياق أحداث الرواية يبرز فجأة المنذر بن أرقم ضمن متحدثي الأنصار وأصحاب الرأي فيهم، وإعلان رغبته في ترشيح علي بن أبي طالب لولاية الأمر. ويعلق اليعقوبي على هذه الرغبة بالقول:

وكان المهاجرون والأنصار لا يشكون في علي ومن اللافت للانتباه أن المنذر بن أرقم هذا مجهول وليس له ذكر في ما بين أيدينا من مصادر التراجم وليس من المستبعد أنه قد حدث خطأ في الإسم أو تحريف إذ أن رواية ابن أعثم تذكر بدلاً عنه زيد بن أرقم.

#### 4 - البيعة لأبي بكر :

لا يعرف على وجه الدقة اليوم ولا التاريخ اللذين تمت فيهما البيعة لأبي بكر (!) ولكن من المتعارف عليه أن بيعة أبي بكر تمت على الأرجح في اليوم نفسه الذي توفي فيه رسول الله ﷺ حسب ما تذهب بعض الروايات.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه على الباحث هو: متى كانت وفاة الرسول ﷺ إذ في ضوءها يمكن تحديد تاريخ البيعة لأبي بكر؟ إن الإجابة التقليدية عن هذا السؤال هي أن الوفاة كانت يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول من السنة الحادية عشر للهجرة . فقد ذكر ابن سعد ( ت : 230هـ ) ثلاث روايات عن شيخه الواقدي ( ت : 207هـ ) بأسانيد مختلفة تجمع على أن وفاة رسول الله ﷺ كانت يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول من السنة الحادية عشر للهجرة . وجاء في واحدة من روايات خليفة بن خياط ( ت : 240هـ ) ما يرجح ذلك.

وعلى النقيض من ذلك فلدينا روايات أخر تذهب إلى أن وفاة الرسول ﷺ ربما كانت في اليوم الأول من شهر ربيع الأول أو الثاني منه أو حتى العاشر منه (!) .

فقد جاء عن ابن شهاب الزهري ( ت : 124هـ ) أن رسول الله ﷺ توفي على صدر عائشة (!) [أي مسنداً رأسه على صدرها ] وفي يومها يوم الاثنين حين زاغت الشمس



لهلال ربيع الأول. أما الواقدي فقد ذكر بسنده أن وفاة النبي ﷺ كانت لليلتين مضتا من شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة.

وساق ابن كثير رواية عن سليمان بن طرخان التيمي ( ت : 143 هـ ) في كتاب "المغازي" تؤكد الرواية السابقة حيث ذكر أن رسول الله ﷺ مرض لإثنتين وعشرين ليلة من صفر وكانت وفاته يوم الإثنين لليلتين خلت من شهر ربيع.

وجاء عند ابن الكلبي ( ت : 204 هـ ) رواية عن أبي مخنف ( ت : 150 هـ ) أن الوفاة كانت في ثاني ربيع الأول ورجحه السهيلي ( ت : 581 هـ ) وعلق على ذلك ابن حجر بقوله فالمعتمد ما قال أبو مخنف.

أما ابن عباس فيذكر أن وفاة رسول الله ﷺ كانت يوم الاثنين لعشر خلون من ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة.

وقد تعقب السهيلي بعض روايات وفاة الرسول ﷺ فقال : وانفقوا أنه ﷺ توفي يوم الإثنين إلا شيئاً ذكره ابن قتيبة في المعارف : الأربعاء [ أي يوم الأربعاء ] ، قالوا كلهم : وفي ربيع الأول ، غير أنهم قالوا ، أو قال أكثرهم في الثاني عشر من ربيع ، ولا يصح أن يكون توفي ﷺ إلا في الثاني من الشهر أو الثالث عشر أو الرابع عشر أو الخامس عشر لإجماع المسلمين أن وقفة عرفة في حجة الوداع كانت يوم الجمعة ... وهذا أقرب في القياس بما ذكر الطبري عن ابن الكلبي عن أبي مخنف.

وعلق ابن حجر العسقلاني على هذا الاضطراب في تحديد تاريخ وفاة الرسول ﷺ بقوله : "فالمعتمد - في تاريخ الوفاة - ما قال أبو مخنف - أي في اليوم الثاني من شهر ربيع - وكأن سبب غلط غيره أنهم قالوا : مات في ثاني شهر ربيع الأول فتغيرت فصارت ثاني عشر ، واستمر الوهم بذلك يتبع بعضهم بعضاً من غير تأمل ."

وإذا ما تركنا هذه الروايات المتعارضة جانباً فإنه من اللافت للنظر أن بعض المهتمين بأمر السيرة في صدر الإسلام لم يعطوا إجابة حاسمة عن اليوم والشهر وحتى العام الذي وقعت فيه الوفاة !

فالزهري مثلاً تحدث عن بدء مرض النبي ووفاته، ولكنه لم يذكر على وجه التحديد في أي يوم كانت وفاة النبي ﷺ وفي أي شهر ؟ بل اكتفى بالقول : " فلما توفي رسول الله ﷺ ، قام عمر فقال...".

وكذلك الحال مع ابن إسحاق (ت: 151هـ) في نقلة خبر وفاة الرسول ﷺ عن الزهري فإنه ذكر أن الوفاة كانت في يوم الاثنين وأهمل الإشارة إلى التاريخ وفي أي شهور السنة.

ولعل ما يزيد الأمر غموضاً هو أن البخاري (ت: 256هـ) الذي أفرد في صحيحه باباً عن الوفاة بعنوان "باب مرض النبي ﷺ ووفاته" أورد فيه ستة وثلاثين حديثاً لم يتطرق في أي منها إلى يوم الوفاة ولا تاريخها ولا حتى الشهر الذي وقعت فيه!.

وكذلك الأمر مع النسائي (ت: 303هـ) الذي صنف كتاباً في وفاة الرسول ﷺ بعنوان "كتاب الوفاة" ذكر فيه أموراً كثيرة عن مرض النبي ﷺ ووفاته، وفي باب ذكر اليوم الذي توفي فيه رسول الله ﷺ. والساعة التي توفي فيها اقتصر على حديث أنس بن مالك أي حديث كشف الستارة المشهور، حيث ذكر فيه أن النبي ﷺ توفي آخر ذلك اليوم وهو يوم الاثنين. وهو هنا لم يذكر تاريخ الوفاة ولا الشهر!

الذي يمكن استنتاجه من هذا الغموض في روايات كل من الزهري وابن إسحاق والبخاري والنسائي أنهم ربما لم يكونوا متأكدين بصورة قاطعة من يوم الوفاة ولا تاريخها ولا ربما حتى الشهر الذي وقعت فيه لذلك فضلوا عدم الخوض في شيء من هذا.

وهكذا أمام تعارض بعض الروايات الخاصة بوفاة الرسول ﷺ وغموض بعضها الآخر لا بد من محاولة ترجيح ما هو أقرب منها إلى الدقة. على الرغم من تواتر روايات المجموعة الأولى التي تذهب إلى أن الوفاة وقعت في يوم الاثنين الموافق للثاني عشر من ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة إلا أنها تبقى عرضة للنقد إذ أنها لا تقدم ما يقنع الباحث بما يدلل على مصداقيتها. ومن الناحية الموضوعية فلا بد من تقديم شهادة أم المؤمنين عائشة التي تفيد بأن رسول الله ﷺ توفي يوم الاثنين لئلا ربيع الأول حين زاغت الشمس، وكانت وفاته على صدرها وفي بيتها.

ولعل ما يدعم هذه الشهادة ويؤكد مصداقيتها ما ذكره الخوارزمي من أن الوفاة كانت في اليوم الأول من ربيع الأول. أو في اليوم الثاني منه كما ذهب إلى ذلك كل من سليمان التيمي وابن الكلبي وعن أبي مخنف.

ومن الناحية الواقعية فليس هناك ما يمنع أن يقع الاختلاف بفارق يوم واحد بين رواية عائشة ورواية الرواة الآخرين الذين يرجحون أن الوفاة وقعت في اليوم الثاني من الشهر ربما لاختلاف رؤية الهلال ويمكن الإطمئنان لسلامة كلا القولين حيث أن القول الأول مصدره عائشة وهي شاهد عيان حيث عاشت اللحظات الأخيرة من حياة الرسول ﷺ ويستبعد أن تخطئ في معرفة يوم وتاريخ وفاة زوجها الحبيب، وإن وقع منها الخطأ بفارق يوم واحد فلا يمكن أن يكون في حدود عشرة أيام أو تزيد.

وكذلك الأمر فيما يتعلق بقول أن الوفاة وقعت في اليوم الثاني من الشهر فلا يمكن استبعاد هذا القول حيث أن أصحابه أقاموه على فرضيات حسابية قد لا تخلو من الدقة. وإذا تم التسليم بصحة كلا القولين لابد من الافتراض إذاً أن البيعة لأبي بكر تمت في اليوم الأول من شهر ربيع الأول أو في اليوم الثاني منه ولكن ليس في اليوم الثاني عشر منه حسب ما يظهر من بعض الروايات.

وإذا كانت البيعة لأبي بكر قد وقعت في أحد اليومين الأولين لوفاة الرسول ﷺ أي في الأول أو الثاني من شهر ربيع الأول، فهل كانت البيعة بيعة واحدة أم أكثر وهل وقعت في السقيفة أولاً أم في مسجد الرسول ﷺ ؟

وإذا كان الأمر كذلك فهل وقعت البيعتان الخاصة والعامة في يوم واحد أم في يومين متتاليين؟ وأخيراً هل تمت المبايعة لأبي بكر بالإمارة أم بالخلافة؟ وماذا كانت مواقف الجماعات السياسية الكبيرة في المدينة من البيعة ؟

هذه الأسئلة وغيرها يمكن تلمس الإجابة عنها في الصفحات التالية على ضوء ما تسمح به المصادر المتاحة.

هل كانت البيعة في المسجد أولاً أم في السقيفة ؟

قبل الإجابة عن هذا السؤال لابد من الإطلاع على الحالة العامة للمسلمين في المدينة يوم وفاة الرسول ﷺ ، فقد جاء عند البخاري على لسان عمر بن الخطاب واصفاً حال الجماعات السياسية الفاعلة في المدينة عشية وفاة رسول الله ﷺ قوله :

" حين توفى الله نبيه ﷺ أن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة، وخالف عنا علي والزبير ومن معهما ، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر ... "

وجاء في رواية لابن إسحاق أكثر تفصيلاً في تصوير الحال حينذاك؛ قال:

ولما قبض رسول الله ﷺ انحاز هذا الحي من الأنصار إلى سعد بن عبادة، واعتزل علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله في بيت فاطمة، وانحاز بقية المهاجرين إلى أبي بكر، وانحاز معهم أسيد بن حضير في بني عبد الأشهل، فأتى أت إلى أبي بكر وعمر، فقال: إن هذا الحي من الأنصار مع سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة قد انحازوا إليه فإن كان لكم في أمر الناس حاجة فأدركوا قبل أن يتفارق أمرهم، ورسول الله ﷺ في بيته لم يفرغ من أمره، قد أغلق الباب دونه أهله، قال عمر: فقلت لأبي بكر: انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار حتى ننظر ما هم عليه "

وصورة الثالثة عن الوضع في المدينة آنذاك نجدها لدى الزهري، قال : بينا المهاجرون في حجرة رسول ﷺ ، وقد قبضه الله إليه، وعلي بن أبي طالب والعباس متشاغلان به، إذ جاء معن بن عدي وعويم بن ساعدة، فقالا لأبي بكر : " باب فتنة، إن لم يغلقه الله بك فلن يخلق أبداً . هذا سعد بن عبادة الأنصاري في سقيفة بني ساعدة يريدون أن يبايعوه، فمضى أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح حتى جاءوا السقيفة، وإذا سعد على طنفسة متكئاً على وسادة ... "

وفي تصوير آخر لحال مجتمع المدينة يوم وفاة الرسول ﷺ نجده لدى ابن أعمش الكوفي ربما يختلف عما سبق، قال : ... ثم أقبل أبو بكر الصديق رضي الله عنه على المسلمين فقال ... ألا وإن محمداً عليه السلام قد مضى لسبيله، ولا بد لهذا الأمر من قائم يقوم به فدبروا وانظروا وهاتوا رأيكم - رحمكم الله - فناداه الناس من كل جانب نصبح وننظر في ذلك إن شاء الله ... فانصرف الناس يومهم ذلك ....

وهكذا فإن أماننا روايات متعارضة تقدم صوراً مختلفة لمجتمع مدينة الرسول ﷺ عشية وفاته. إذ نجد أن رواية عمر بن الخطاب لدى البخاري ورواية ابن إسحاق عند ابن هشام تظهران الناس في المدينة وقد انقسموا إلى ثلاث مجموعات ، المهاجرون، وآل النبي ﷺ والأنصار.

أما الرواية الثالثة وهي رواية الزهري فتظهر اجتماع المهاجرين وآل بيت النبي ﷺ في حجرة رسول الله ﷺ وأن الأنصار قد انحازوا إلى زعيمهم سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة.

ولعل الرواية التي شذت عما سبق في تصوير حال الناس يوم وفاة الرسول ﷺ هي رواية ابن أعثم إذ تبين في جزء منها أن أبا بكر الصديق أعلن وفاة النبي ﷺ وطلب من الناس التفكير في أمرهم واختيار من يقوم بالأمر، وأن الناس طلبوا منه المهلة إلى الغد، فأمهلهم.

وما يمكن ملاحظته على الروايات السابقة بصورة عامة أن اثنتين و منهما تشيران إلى اجتماع المهاجرين إلى أبي بكر بل إن رواية ابن إسحاق تعطينا إشارة هامة وهي أن أسيد بن حضير أحد سادة الأوس من الأنصار قد انحاز برهطه من بني عبد الأشهل إلى المهاجرين وزعيمهم أبي بكر ! وربما يفهم من هذه الإشارة انصراف بعض سادة الأوس وأتباعهم عن ترشيح سعد بن عبادة زعيم الخزرج من الأنصار وهذا ما سيكون له أثره الحاسم في اجتماع سقيفة بني ساعدة.

ورواية الزهري وهي الرواية الثالثة في هذا العرض تشير إلى أن المهاجرين كانوا في حجرة الرسول ﷺ عندما أتاهم نبأ اجتماع الأنصار. ولا تبين الرواية من هم المهاجرون الذين كانوا في حجرة الرسول ﷺ وما عدتهم، وهي تتعارض تعارضاً واضحاً مع رواية عمر القائلة بانحياز المهاجرين إلى أبي بكر ومخالفة علي والزبير لهما ! وتعارض كذلك رواية ابن إسحاق التي تقول :

" ... ورسول الله ﷺ في بيته لم يفرغ من أمره، قد أغلق الباب دونه أهله ... " والسؤال هنا كيف تسنى للمهاجرين الاجتماع في حجرة النبي ﷺ وقد أغلق الباب دونه أهله !؟

ولابد إذاً للعودة إلى الروايتين الأولىين لاستيضاح الأمر إذ أن رواية عمر بن الخطاب تقول إن المهاجرين انحازوا إلى أبي بكر الصديق، ورواية ابن إسحاق تضيف إلى المهاجرين الذين اجتمعوا إلى أبي بكر بن عبد الأشهل من الأوس وسيدهم أسيد بن حضير. والسؤال الذين يمكن إثارته هنا : أين كان اجتماع المهاجرين وبعض رجال الأوس بأبي بكر؟ وما الغرض من الاجتماع؟

يمكن تلمس الإجابة عن هذه الأسئلة لدى ابن س عد فيما يرويه عن يزيد بن بابنوس عن عائشة أم المؤمنين؛ جاء في الرواية : أنه لما أعلن أبو بكر في مسجد النبي ﷺ وفاة رسول الله ﷺ بقوله: " من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ... " قام عمر فقال : ... أيها الناس هذا أبو بكر وذو شبيبة المسلمين فبايعوه ! فبايعه الناس.

هذه رواية عائشة نقلها لنا ابن بابنوس تؤكد فيها أم المؤمنين البيعة لأبيها في المسجد حال إعلانه وفاة رسول الله ﷺ وهذا الخبر إن صح فإنه يتناقض تماماً مع ما قيل من أن عمر بن الخطاب عندما تيقن من وفاة الرسول ﷺ حاول جاهداً مبايعة أبي عبيدة عامر بن الجراح ، وهي المحاولة التي فهم منها شوفاني انصراف عمر عن أبي بكر الصديق. والخبر كذلك يلقي بظلال من الشك على الزعم بأن البيعة الأولى تمت لأبي بكر في سقيفة بني ساعدة.

وإذا أمكن التسليم بخبر بيعة أبي بكر في مسجد النبي ﷺ أولاً على الرغم مما يعترض هذا الخبر من إشكال، فهذا يعني أن المهاجرين وبعض شيعتهم من الأنصار قد بايعوا لأبي بكر أولاً ثم ذهبوا إلى اجتماع السقيفة ليشركوا الأنصار في الأمر أو ربما ليطلعوا على حقيقة اجتماع السقيفة وما يهدف إليه سعد بن عباد من وراء ذلك.

لكن يصعب على الباحث المحايد قبول هذه الفرضية، لأن ه هناك روايات متواترة مفادها أن أبا بكر لما حضر اجتماع السقيفة لم يقدم نفسه على أنه صاحب أمر المسلمين الذي تمت له البيعة في مسجد رسول الله ﷺ ؛ بل نراه يناهى بنفسه عن الترشح للأمر، ويقدم للمجتمعين عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة عامر بن الجراح لولاية الإمرة . وهكذا فلو كانت البيعة قد تمت لأبي بكر في المسجد أولاً لما خلع نفسه منها ورشح لها غيره في اجتماع السقيفة !

ولنا أن نتساءل إذاً ما الذي حدث في السقيفة ؟

يظهر من رواية ابن أبي عمرة الأنصاري التي أوردها الطبري أن سعد بن عباد زعيم الخزرج من الأنصار اجتمع بقومه في سقيفتهم أي سقيفة بني ساعدة وأنه رشح نفسه للأمر بعد أن ألقى في المجتمعين خطبة طويلة أثبت فيها أحقية الأنصار بالأمر دون إخوانهم المهاجرين ولكن يظهر أن الانقسام ساد بين المجتمعين إذ أن فريقاً منهم

قال: وإن أبا المهاجرون ولأية الأنصار على السلطة، قلنا لهم : منا أمير ومنكم أمير، فقال سعد بن عبادة: هذا أول الوهن.

وحسب الرواية السابقة فإنه بعد أن وصل أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح إلى السقيفة حصل بين الفريقين مجادلة طويلة كل فريق يحاول إقناع صاحبه في أحقيته بالأمر، وفي إحدى مراحل الحوار عرض الأنصار على إخوا نهم المهاجرين ثنائية السلطة، أي أمير من المهاجرين وأمير من الأنصار، فقال عمر :

لا يجتمع اثنان في قرن ! والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبهها من غيركم . ثم تدخل أحد زعماء الأنصار من الخزرج وهو بشير بن سعد، ورجح كفة المهاجرين عندما قال: ألا إن محمداً ﷺ من قرئش وقومه أحق به وأولى ... فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم.

ثم إن أبا بكر عرض على المجتمعين البيعة لعمر بن الخطاب أو أبي عبيدة بن الجراح ولكنهما اعتذرا عن قبول الترشيح معترفين بفضل أبي بكر عليهما ، ولأنه خليفة رسول الله ﷺ في الصلاة والصلاة أفضل دين المسلمين. فسبقهما بشير بن سعد بالبيعة لأبي بكر.

ثم إن أسيد بن حضير وكان أحد النقباء وأحد سادة الأوس ، قال لقومه : والله إن وليتها الخزرج عليكم مرة لازالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ... فقوموا فبايعوا أبا بكر، فقاموا إليه فبايعوه.

وقد فسر صاحب الإمامة والسياسة مسارة بشير بن سعد بالبيعة لأبي بكر على أنه حسداً لسعد بن عبادة زعيم الخزرج من الأنصار. وهذا تفسير يستبعد قبوله خاصة إذا وضع في الاعتبار أن بشير بن سعد هذا هو أحد سادة الخزرج أي أنه من رهط سعد بن عبادة المرشح لولاية الأمر. وقد يكون موقفه هذا نابغاً من قناعته بلحقية المهاجرين بولاية السلطة حيث أنهم أهل رسول الله وعشيرته والنبوة فيهم.

وليس من المستبعد أن موقف أسيد بن حضير ورهطه من بني عبد الأشهل كان موقفاً تنافسياً تجاه الخزرج إذا صح أنه القائل : إن وليتها عليكم الخزرج مرة لازالت لهم عليكم بذلك الفضيلة. وإن كان للباحث أن يحمل خبر البيعة لأبي بكر في مسجد

الرسول ﷺ قبل بيعة السقيفة على محمل الجد، وانحياز أسيد بن حضير بقومه من بني عبد الأشهل من الأوس إلى المهاجرين بزعامة أبي بكر، فإن ذلك يؤيد صحة ما قيل عن موقفه من بيعة سعد في اجتماع السقيفة.

والنتيجة النهائية لهذا أن البيعة تمت لأبي بكر وأن سعد بن عبادة رفض الاعتراف بالأمر الواقع.

وجاء في رواية أخرى بسند جمعي ينتهي بابن شهاب الزهري، يتبين فيها أن أبا بكر وعمر وأبا عبيدة ذهبوا إلى سقيفة بني ساعدة فوجدوا سعد بن عبادة موعوكاً، فقال له أبو بكر، ما ترى يا أبا ثابت؟ فقال سعد: أنا رجل منكم. ولكن أحد الأنصار عقب على ذلك الموقف بالقول: منا أمير ومنكم أمير. وطال الجدل بين الفريقين حتى قال أبو بكر: نحن الأمراء وأنتم الوزراء. واحتج عليهم بقول الرسول ﷺ: " الأئمة من قريش ". ثم إن أبا بكر رشح أبا عبيدة أو عمر لولاية الأمر، ولكنهما اعتذرا عن التقدم على أبي بكر، وأخيراً بايعه عمر وبايعه أسيد بن حضير وبايع الناس لأبي بكر وازدحموا عليه وقيل إن أول من بايع من الأنصار بشير بن سعد، وأتى بأبي بكر إلى المسجد فبايعوه. وسمع العباس وعلي التكبير في المسجد ولم يفرغوا من غسل رسول الله ﷺ.

إن هذه الرواية تستدعي الإشارة إلى بعض الملاحظات الجديرة بالتوقف منها: أن سعد بن عبادة كان مسلوب الإرادة كما تظهره الرواية فهو طوع أمر المهاجرين، ومنها أن بعض الأنصار من رهط سعد ربما خرجوا عن إرادته وجادلوا إخوانهم من المهاجرين وطالبوهم أن تكون السلطة أو ولاية الأمر مناصفة بين الفريقين ومنها كذلك أن أبا بكر احتج على الأنصار في أحقية المهاجرين بولاية الأمر بحديث الرسول ﷺ: " الأئمة من قريش ". وإن كان هذا القول المنسوب لرسول الله ﷺ يحتمل أكثر من ثلويح حسب ما جاء عند سيف الدين الأمدي إذ قال:

أما قوله: " الأئمة من قريش " فلأنه يحتمل أنه أراد به العلماء " وأخيراً فإن الرواية تؤكد على أن بيعة السقيفة وهي بيعة الخاصة وكذلك البيعة العامة في المسجد قد تمتا في يوم واحد بل وأهل النبي ﷺ لم يفرغوا من غسله بعد!



وهذا بطبيعة الحال مخالف لما هو مشهور. وهو أن البيعة الخاصة قد تمت لأبي بكر في اليوم الأول في السقيفة وأن بيعة العامة تمت في المسجد وذلك في اليوم الثاني لوفاة الرسول ﷺ.

والرواية الثالثة المتعلقة بهذا الخصوص نجدها لدى الطبري نقلاً عن حميد الحميري، وهي رواية مختصرة نوعاً ما، وأهم ما فيها أن أبا بكر وعمر ذهبا إلى سقيفة بني ساعدة وإذا الناس هناك يقولون: منا أمير ومن قريش أمير. وبعد حوار قصير بين الفريقين، قال أبو بكر مخاطباً سعد بن عبادة: ولقد علمت يا سعد أن رسول الله قال وأنت قاعد: "قريش ولالة هذا الأمر برّ الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم" قال: فقال سعد: صدقت، فنحن الوزراء وأنتم الأمراء.

قال عمر: ابسط يدك يا أبا بكر فلابايعك... فبايع الناس واستثبتوا للبيعة.

وأبرز ما يمكن ملاحظة على هذه الرواية أنها لا نسمع صوتاً قوياً لسعد بن عبادة فمجرد أن ذكره أبو بكر بمقولة رسول الله ﷺ حتى صادق على قوله! وإذا كان سعد يقر حقاً بأن رسول الله ﷺ قال: "قريش ولالة هذا الأمر". فلماذا إذاً ينحاز بقومه من الأنصار ويطلب الأمر لنفسه؟ وأخيراً وأمام قوة منطق أبي بكر يقترح سعد أن تكون الإمارة في المهاجرين والوزارة في الأنصار. على أن هذا المقترح كثيراً ما تنسبه المصادر إلى أبي بكر الصديق. ثم يلاحظ في الرواية كذلك اختفاء لغة التهديد بالجوء إلى القوة من قبل كلا الطرفين والتي كثيراً ما تصادف القارئ في مرويات السقيفة!

وإلى جانب هذا كله نجد أن المرشح الوحيد الذي قدمه أبو بكر لأهل السقيفة هو عمر بن الخطاب ولم نسمع شيئاً عن أبي عبيدة عامر بن الجراح!! وآخر ما يمكن الإشارة إليه من جوانب ضعف الرواية هو عدم ذكرها للبيعة العامة لأبي بكر في المسجد التي قيل أنها وقعت في اليوم الثاني لوفاة الرسول ﷺ!

إن الحديث يطول بنا لو أردنا استعراض جميع مرويات يوم السقيفة ولكن حسبنا الإشارة إلى أشهرها وأكثرها تداولاً في مصادر السيرة النبوية ومن المناسب هنا أن نختم هذه الروايات برواية عند البخاري بسنده عن ابن عباس عن عبد الرحمن بن

عوف عن عمر بن الخطاب يصف فيها عمر اجتماع يوم السقيفة ويمكن اختصارها على النحو التالي: أن أبا بكر وعمر وأبا عبيدة عامر بن الجراح ذهبوا للمجتمعين في سقيفة بني ساعدة ليتعرفوا على الهدف من الاجتماع، فوجدوا سعد بن عبادَةَ زعيم الخزرج موعوكاً، ثم تحدث خطيب الأنصار فقال: ... وأنتم معشر المهاجرين رهط، وقد دفت دافة. من قومكم، فإذا هم ير يدون أن يختزلونا من أصلنا وأن يحضنونا من الأمر. ثم تكلم أبو بكر في الاجتماع، وقال: ... ولن يُعرفَ هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح ... فقال قائل الأنصار ... منا أمير ومنكم أمير، يا معشر قريش. فكثرت اللغط وارتفعت الأصوات ... فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار، ونزونا على سعد بن عبادَةَ، فقال قائل منهم؛ قتلتم سعد بن عبادَةَ، فقلت قتل الله سعد بن عبادَةَ.

على الرغم من أن هذه الرواية من أتم روايات يوم السقيفة سنداً ولهذا فلا إشكال عليها من وجهة نظر المحدثين، إلا أن الباحث المدقق يلاحظ عليها عدة أمور منها:

أنه ليس فيها مقولة نحن الأمراء وأنتم الوزراء، وهي المقولة التي جاءت في روايات عدة من روايات السقيفة، وربما أن عدم ظهور وزراء أي مستشارين من الأنصار للخلفاء الأربعة يعود في أصله إلى هذه الرواية على فرض صحتها.

ولم يرد في الرواية كذلك قول: " الأنمة من قريش " أو " قريش ولاية هذا الأمر " أو " هذا الشأن بعدي في قريش " وهي أحاديث منسوبة للرسول ﷺ كثيراً ما ترددت في مصادر السيرة النبوية، والحديث النبوي الشريف!.

ولا يلاحظ القارئ كذلك أي إشارة للتهديد باللجوء إلى القوة الذي كثيراً ما ينسب لكلا الفريقين في بعض المصادر علماء أن الرواية نفسها عند الزهري تذكر التهديد باللجوء إلى القوة صراحة . ومن اللافت للنظر أن كل متحدثي الأنصار في هذه الرواية مجاهيل على خلاف الروايات الأخر التي تذكرهم بالإسم وتنقل لنا ما قالوه كلمة كلمة!

ولم تذكر الرواية أي دور لبشير بن سعد الذي طالما أشارت بعض الروايات إلى دوره الحاسم إلى جانب المهاجرين في اجتماع السقيفة . ولم تذكر كذلك الدور الذي ينسب لأسيد بن حُضير ورهطه من بني عبد الأشهل إلى جانب المهاجرين.

ولعل أكثر ما يثير التساؤل في هذه الرواية هو إغفالها لأي دور لسعد بن عبادة زعيم الخزرج الذي كان رئيساً للاجتماع في السقيفة على الرغم من مرضه ! فهو حاضر كالغائب إذ أننا لا نسمع له صوتاً في ذلك الاجتماع التاريخي الخطي ، ولم تذكره الرواية إلا بعد البيعة لأبي بكر وانفضاض الاجتماع حيث نزا عليه الناس ووطئوه! ودعي عليه عمر بن الخطاب بالقتل ! إذ قال : " قتل الله سعد بن عبادة ". وجاء في رواية أخرى أن عمر قال : " اقتلوه فإنه صاحب فتنة ". ولعل أكثر ما يدعو للاستغراب أن هذه المقولة الأخيرة المنسوبة لعمر وردت في رواية ابن شهاب الزهري التي جاء فيها أن أبا بكر في اجتماع السقيفة سأل سعد بن عبادة عن رأيه في الأمر قائلاً : ما ترى يا أبا ثابت ؟ فقال : أنا رجل منكم . فكيف يكون رأيه مع الجماعة والانقياد لمشيئتهم ثم نجد عمر في الرواية نفسها يدعو الناس لقتله لأنه صاحب فتنة.

وفي رواية لعائشة زوج النبي ﷺ عن اجتماع السقيفة، جاء فيها : فقال قائل : قتلتم سعد بن عبادة ! فقال عمر : قتله الله !. وفي رواية أخرى أن عمر قال : قتله الله ! إنه منافق .

وبطبيعة الحال فإن عائشة لم تكن حاضرة في ذلك الاجتماع ولم تذكر مصدر خبرها.

ويبقى السؤال دون إجابة لماذا هذا الموقف من سعد بن عبادة علماً بأن أكثر روايات السقيفة شهرة تظهره مسالماً مطووعاً لإخوانه المهاجرين ؟ ثم لماذا عمر بن الخطاب وحده هو الذي يقف موقفاً عدائياً تجاه سعد بن عبادة ؟!

إن المصادر التاريخية المتاحة لا تسعف بالإجابة عن كثير من الأسئلة والملاحظات التي أثيرت حول أكثر روايات اجتماع السقيفة شهرة أي الرواية التي جاءت عند البخاري لذلك يبدو أن الرواية على رغم من صحة سندها إلا أنها لم تقل كل شيء حدث في السقيفة ! إذ أن عمر بن الخطاب نفسه يقول : فكثرت اللغط وارتفعت الأصوات.. حتى فرقت من الاختلاف، فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر . هذه الإشارة من

عمر عما حدث في السقيفة توحى للباحث أنه جرى تقديم الرواية بعد تهذيبها إذ أنها لا تقص خبر الإجتماع كما حدث !

ولذلك فربما أن ما تذكره بعض روايات يوم السقيفة عن تشدد عمر تجاه سعد بن عبادة يعود في أصله إلى أن سعداً كان يطلب الأمر لنفسه ولقومه من الأنصار وهذا ما تفصح عنه على الأقل رواية ابن أبي عمرة الأنصاري، وهي رواية على الرغم من انقطاع سندها إلا أنها تزود الباحث بمعلومات مفيدة قد لا يجدها في بعض الروايات الأخرى، وهي كذلك تقدم تفسيراً مفهوماً لمطالبة سعد بالسلطة وموقف عمر بن الخطاب منه.

إضافة إلى ما تقدم فإن الأسئلة التي تُرُكَّتْ دون إجابة في هذه الرواية والثغرات التي يمكن للباحث ملاحظتها فيها، فإن كلاً من روايتي ابن شهاب الزهري وابن أبي عمرة الأنصاري اللتين تتحدثان عن الموضوع نفسه أي - اجتماع سقيفة بني ساعدة - تقدمان أجوبة عن كثير من الإشكالات التي أثّرت حول الرواية السابقة . إذ أنهما تذكران المجادلة العنيفة بين المهاجرين والأنصار وتذكران متحدثي الأنصار بالاسم، وتذكران كذلك التلويح باللجوء للقوة من جانب الأنصار . وتذكر رواية الزهري سبب تخوف الأنصار من استئثار المهاجرين بالسلطة، لأنهم كما قالوا في حديثهم مع أبي بكر: " ما نحسدك ولا أصحابك . ولكننا نخشى أن يكون الأمر في أيدي قوم قتلناهم [قتلنا أباهم]، فحقدوا علينا" وهو تخوف مشروع.

وقد جاء في رواية الزهري كذلك حديث " الأئمة من قريش "، كما أنها أشارت إلى كل من أسيد ابن حضير وبشير بن سعد وموقفهما مع المهاجرين . وأخيراً فإن الرواية تذكر البيعة في السقيفة والبيعة في المسجد في اليوم نفسه !

وعموماً فإنه يمكن القول أن كلا الروايتين أي رواية ابن أبي عمرة الأنصاري ورواية ابن شهاب الزهري يمكن أن تسد الثغرات الموجودة في الرواية المنسوبة لعمر بن الخطاب عند البخاري حيث أن الروايتين تقدمان تصويراً حياً تقريباً لما حدث في السقيفة من حوار ارتفعت في أصوات الفريقين ودافع كل فريق عن وجهة نظره بقوة وصراحة تامة.

تأسيساً على ما سبقت مناقشته من الروايات المتعارضة والمفصلة ببيعة أبي بكر فإنه يمكن القول أن شهادة أم المؤمنين عائشة التي تفيد بأن البيعة تمت لأبي بكر في

مسجد الرسول ﷺ هي شهادة لا يمكن إنكارها حيث أن أم المؤمنين تُعدُّ شاهدة عيان على الحادثة التاريخية سيما وأن بيتها جزء من المسجد، ولكن من المستبعد أن تكون قد تمت صفقة اليمين للمجتمعين بالمسجد على البيعة لأبي بكر ولكن ربما أن الذي حدث لا يعدو كونه اجتماعاً تشاورياً وترشياً مبدئياً لأبي بكر فحسبت عائشة أن اجتماع المسجد كان بيعة لأبيها. إذ لو كانت البيعة لأبيها قد تمت في المسجد لما طلب أبو بكر من المجتمعين في السقيفة الاختيار بين عمر وأبي عبيدة لولاية الأمر.

أما روايات بيعة السقيفة فلا يمكن تجاهلها فهي روايات متواترة ومتضافرة على أن أبا بكر حظي بالبيعة من أكثرية المجتمعين في السقيفة من مهاجرين وأنصار والروايات ذاتها تظهر بوضوح الدور الحاسم الذي قام به عمر بن الخطاب من أجل البيعة لأبي بكر وإن كانت الروايات نفسها تختلف في مدى التأثير الذي مارسه كل من أسيد بن حضير سيد الأوس وبشير بن سعد أحد زعماء الخزرج من الأنصار في ترجيح كفة المهاجرين.

أما أحاديث : الأئمة من قريش، وهذا الشأن بعدي في قريش، والناس تبع لقريش، وكذلك مقولة : نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فهي مقولات، مشكوك فيها ومشكوك كذلك في دورها الحاسم الذي تذكره بعض المصادر. ويكفي أن أشهر روايات السقيفة أي التي جاءت عند البخاري بسنده عن عمر ابن الخطاب لم تذكر أي شيء من هذه الأحاديث التي تنسب إلى رسول ﷺ.

والحقيقة التي يجب التذكير بها هنا هي أن مرويات السقيفة جميعها تؤكد أن أبا بكر لم يرشح نفسه لولاية الأمر بل كان يقدم غيره لها مثل عمر بن الخطاب أو أبي عبيدة عامر بن الجراح!

أما رواية ابن شهاب الزهري التي وصلت إلينا عن طريق محمد بن سعد بسنده القائلة أنه بعد البيعة لأبي بكر في السقيفة أتى بأبي بكر إلى المسجد فبايعه الناس في اليوم نفسه، فلا يجب أن يفهم منها أنها البيعة العامة إذ أن البيعة العامة لم تقع إلا بعد مواراة الجسد الشريف الثرى.

لذلك يمكن تفسير بيعة المسجد هذه إن كانت قد وقعت بالفعل، أنه بعد أن كثر اللغظ بين المجتمعين في السقيفة وبعد أن تكاثر الناس وازدحموا على البيعة لأبي بكر اضطروا إلى الانتقال للمسجد لسعة المكان ليس إلا، وعليه إن صح هذا التفسير فيمكن القول إن ما حدث في المسجد هو استمرار وإتمام للبيعة الخاصة التي حدثت في السقيفة.

وقبل الحديث عن البيعة العامة لأبي بكر لابد من التوقف عند رواية أبي مخنف والتي أشار فيها إلى الدور المزعوم لقبيلة أسلم في كسب البيعة لأبي بكر في السقيفة، قال أبو مخنف:

" فحدثني أبو بكر محمد الخزاعي، أن أسلم أقبلت بجماعتها حتى تضايق بهم السكك، فبايعوا أبا بكر؛ فكان عمر يقول: ما هو إلا أن رأيت أسلم، فأيقنت بالنصر".  
هذه هي الرواية الوحيدة التي ذكرت دور أسلم في بيعة السقيفة والتي لم يذكرها أحد من المؤرخين حسب علمي سوى الطبري عن أبي مخنف، وقد قادت هذه الرواية بعض الدارسين المحدثين إلى تصور دور كبير وضغط عسكري واضح من قبل أسلم من أجل تأييد أبي بكر، فقد علق هشام جعيط على دور أسلم بقوله:

... فعند الاجتماع في حادثة السقيفة، لم يكتف بتبادل الآراء والحجج، يروي الأخباريون أن شوارع المدينة كانت تغص بأفراد قبيلة أسلم، وبالتالي كان هناك ضغط عسكري من جانب عناصر خزاعة التي كانت مرتبطة بالنبي بروابط شخصية، فانتقلت الآن إلى ورثته الطبيعيين، مهاجري قريش.

أما حسين مؤنس فيقول:  
ومن الواضح أن أمراً ( ما ) حدث فغير الموقف وأعطى المهاجرين أغلبية في هذا الاجتماع، فبادروا بأخذ البيعة لأبي بكر وهم واثقون من أنفسهم، وسكت صوت الحباب بن المنذر، وأمثاله وضاع أمر سعد بن عباد في الزحام، وهذا الأمر الجديد هو مجيء بني أسلم القضاءيين